مكتبة المحبة

حياة الذات

تأليف
ف.ب. ماير

تعريب
القس مرقس داود

حيـــاة الـــذات

تأليف

ف. ب. ماير

تعريب

القس مرقس داود

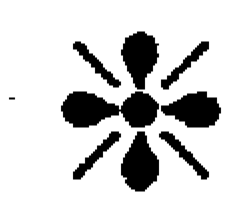
متعهد الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



مقدمة المعرب

باسم الآب والإبن والروح القدس، إله واحد، آمين

سبق أن قرأنا لهذا الخادم الأمين ـ ف. ب. ماير ـ سلسلة من حياة أبطال الكتاب المقدس فى العهد القديم والعهد الجديد. واستمتع بها القراء الأعزاء، ووجدوا فيها تعزية ليست بقليلة.

واليوم نجد نوعاً آخر من كتاباته، بل من كتبه، إذ يتضمن هذا الكتاب بعض عظات ألقاها إذ كان فى أمريكا بدعوة خاصة للخدمة فيها.

وإننى إذ أقدم للقراء المباركين هذه العظات أبتهل إلى الله الذى بارك فى القديم أن يبارك الآن أيضاً، وأن يستخدمها لإنعاش نفوس قارئيها وتجديدها، سيما فى هذه الأيام التى فترت فيها محبة الكثيرين، بل التى انعدمت أو كادت تنعدم فيها محبة الكثيرين.

وليتمجد اسم إلهنا فى كل مجهود يبذل. له المجد والعظمة والبركة والسجود إلى دهر الداهرين آمين

١٢ سبتمبر ١٩٦٣ — **القس مرقس داود**

مقدمة المؤلف

ألقيت هذه العظات فى نيويورك فى أسبوع خالد، وألقى بعضها أيضاً فى بوسطون وفى فيلادلفيا.

واستجابة لإلحاح الكثيرين طبعت كما ألقيت وكما سجلها بعض الحاضرين. ولهذا فإنه ينقصها تهذيب عبارتها. لكن الهدف الرئيسى هو الحق. وأعتقد أن ما تضمنته هذه العظات من تعاليم يعطى لمحة عن نواحى المسيحية العميقة التى تؤدى إلى تغذية وتقوية الحياة الداخلية.

ف. ب. ماير

العظة الأولى

مرفوض

إننى ألفت أنظاركم إلى كلمـات قليلة تجـدونها فى (١ كو ٩ : ٢٧) « أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » .

كان بولس الرسول أقوى من أن يفزع أمام خوف لا وجود له. ولهذا فإنه إذ أشار إلى أنه كان كل يوم يخاف أن يصير هو نفسه مرفوضاً بعد أن كرز للآخرين فإننى أعتقد بأنه لم توجد فى حياته إلا ساعات قليلة حيث لم يتعقبه فيها هذا الخوف. إنه بعد أن أسس كل ذلك العدد الكبير من الكنائس، وكتب هذا العدد الكبير من الرسائل، وبعد أن كان له كل هذا النفوذ الواسع المدى، كان يرى أمامه فى لحظاته الهادئة شبح ذلك الكابوس المخيف أنه قد يأتى اليوم الذى فيه يصبح هو نفسه مرفوضاً، وكانت هذه الفكرة تقضى مضجعه عندما كان يعبر مياه بحر اليونان، وعندما كان يجلس لصنع الخيام، وعندما كان ينشغل فى إملاء رسائله كانت الفكرة تدور فى مخيلته مراراً وتكراراً «بالرغم من كل هذا قد أصير أنا نفسى مرفوضاً » .

ألم تشعر بهذا الخوف قط ؟ إننى واثق بأنه مهما سما المرء إلى أسمى درجات الحياة الروحية فإنه لابد أن يراوده هذا الخوف بعض الأحيان. وإننى أسألكم الآن إن كان هذا الخوف لم يتعقبكم يوماً ما فى حياتكم. واسمحوا لى أن أعترف لكم بأننى شخصياً كثيراً ما تعقبنى. وإذا مرت أيام كيرة دون

أن يكتب لى أحد مخبراً إياى عما وجده من بركة عن طريق خدمتى، ودون أن ينضم عضو جديد إلى كنيستنا، ودون أن يبدو على أحد أنه قد تأثر بقدوتى أو بعظاتى، فإننى أخلو إلى نفسى وأقول:

« يا إلهى، هل أتى الوقت أخيراً الذى أصبح فيه أنا أيضاً، لسبب ما، مرفوضاً؟ »

وإننى بكل توقير، وبكل أتضاع، وبكل نقض، أسألك أيها المستمع الكريم عما إذا كنت فى هذه اللحظة مرفوضاً فعلا مرفوض؟ بأى معنى؟

أيعقل لحظة واحدة أن الرسول كان يعتقد أن المؤمن إذا ما التجأ إلى المسيح يمكن أن يطرح فى الظلمة حيث البكاء والنوح وصرير الأسنان؟ أيمكن أن ينتزع العضو من جسد المسيح الرمزى أو أن تنتزع اللؤلؤة من تاجه، أو أن يلتهم الخروف من بين قطيعه؟ أيمكن أن توجد صورة ناقصة فى قاعة الله؟ أيمكن أن يبدأ الله عملاً فى النفس ويتركه ناقصاً لم يكمل؟ هذا ما لا يمكن أن نصدقه.

قيل عن الكاهن الذى حللت محله فى كنيسة المسيح بلندن إنه عندما كان عمره أربعة وثمانين عاما، وقبيل موته مباشرة، كان فى الكنيسة فى إحدى الليالى بعد إطفاء الأنوار، فسمعه الحارس وهو يتمشى بين المقاعد ويقول:

عندما يحل موعد انتقالى أتوسل إليك بأن تقبل روحى لأن يسوع أحبنى، ولست أعلم لماذا أحبنى، لكننى أعلم أننى قد أرتبطت به.

فلا يمكن أن يكون هو فى السماء ويتخلى عنى.

إن كان لك إيمان مثل حبة خردل، وكان هذا الإيمان متجهاً نحو المسيح، فإنك قد ارتبطت به برابطة لا تستطيع أن تفصمها السماء أو الأرض أو جهنم أو الزمن أو الأبدية.

ومع ذلك فإن الرسول خشى لئلا يصير مرفوضاً. فماذا كان يعنى؟

ذهبت يوماً لزيارة أحد زملائى الكهنة. فأخذنى إلى حديقة منزله. وعلى جدار منزل صغير فى أحد أركان الحديقة كانت ترتكز دراجة من الطراز القديم ذات عجلة عالية جداً. وعندئذ سألته هل تستعمل هذه الدراجة؟

فأجاب: كلا ألست ترى كيف علاها الصدأ؟ إننى لم أستعملها منذ شهور كثيرة. لقد اشتريت واحدة أفضل، وأكثر صلاحية: وأشار إلى دراجة جديدة فى ركن آخر من البيت.

وعندئذ قلت لنفسى: إذاً فقد صارت الدراجة القديمة مرفوضة منبوذة.

فى بداية اختراع أقلام الحبر الأمريكية اشتريت قلماً كنت أرجو أنه سوف يكون كاملاً فى تأدية الغرض. لكننى سرعان ما تبينت أنه لم يعد صالحاً للاستعمال، ففى بعض الأحيان عندما كنت أحاول استعماله كان يأبى أن يكتب . وفى أحيان أخرى كان يسيل منه الحبر فيلوث أصابعى. وأخيراً نبذته واشتريت قلماً آخر ووجدت أن القلم الجديد صالح جداً للاستعمال. لكنى لازلت أحتفظ بالقلم القديم، ووضعته فى أحد أدراج المكتب. وفى بعض الأحيان عندما كنت أستعد للقيام بنزهة، وآخذ من

الدرج بعض محتوياته، يخيل إلى أننى أسمعه يقول:

آه، أنه سيقوم بنزهة مرة أخرى بدونى. لقد كان قبلا لا يخرج من البيت أبداً دون أن يأخذنى معه، لم يكتب خطاباً قط بغيرى، ولم يكتب مقالة دون أن أعرف محتوياتها. لكننى الآن منذ أيام وشهور طويلة أرقد هنا دون أن يستعملنى.

هذا القلم غير المستعمل يعطينى فكرة عما قصده بولس عندما قال إنه يخشى لئلا يصير مرفوضاً.

يجب أن تعلم أن هذا الرسول كان يحب خلاص النفوس. كانت هذه شهوة قلبه. إذا ما ذهب إلى فيلبى أبى أن يصرف فيها يوماً واحداً دون أن يخرج روح العرافة من تلك الجارية المسكينة (أع ١٦ : ١٦ ـ ١٨)، وإذا ما زج به فى السجن عمد السجان قبل منتصف الليل (أع ١٦ : ٣٣). وأذا ما ذهب إلى أثينا جمع جمعاً غفيراً فى أريوس باغوس بعد أسبوع أو أثنين، ولو كان وحيداً(أع ١٧ : ٢٢). وإذا ما اجتمع مع أكيلا وبريسكلا فى صناعة الخيام كلمهما بكل حكمة حتى أصبحا مسيحيين. وإذا ما وقف ليحاكم أمام أغريباس صاح أمامه أغريباس قائلاً: "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع ٢٦ : ٢٨). وإذا ما ذهب إلى رومية مقيداً بسلسلتين فى حراسة الجنود الرومانيين تحدث إليهم بلباقة حتى تشيع فى قلوبهم محبة الله.

كانت شهوة قلبه خلاص النفوس. واعتقد أنه لو كان بيننا الآن لما ركب سيارة عامة، أو قطاراً، أو باخرة، دون أن يتكلم مع من يجدهم عن

خلاص نفوسهم وعن المخلص. كان هدفه أن يخلص على كل حال قوماً. لكنه كان يخشى أنه لم يكن دقيقاً فى خدمته فقد تأتى الساعة التى يقول له فيها المسيح:

"لقد خدمتنى حسناً، لكنك سوف لا تخدمنى فيما بعد. لقد صرت أخيراً كسولاً[1]، وعطل الكبرياء حياتك، ولم تعد طاعتك لى كاملة. إننى مضطر لدعوة شخص آخر أكثر نشاطاً منك، وأكثر طاعة، واستخدام هذا الشخص لإتمام العمل الذى لم تكمله أنت".

لعل هذا الكلام ينطبق علينا نحن الخدام. فأننى أتحدث إلى بعض الخدام الذين كانوا نشيطين جداً فى خدمة ربح النفوس عند بداية تخرجهم من كليات اللاهوت، وتعيينهم فى أول كنيسة. لقد كانت غرفة الاعتراف مزدحمة جداً كل يوم أحد. كان الكثيرون يسمعون كلمة الله من أفواههم، فتجدد حياتهم، ويزداد عدد المتناولين من جسد الرب ودمه كل أسبوع. وكان الأولاد من الأماكن المجاورة يهرعون إلى المسيح.

لعله يوجد من بين المستمعين بعض النسوة اللاتى إذ اشتعلت فيهن محبة المسيح فى بداية الأمر تأججت فيهن نيران الغيرة حتى أحس كل من عاشرهن بقوة المحبة الخالصة لله التى فيهن.

أنستطيع كلنا أن نتذكر الأيام السالفة عندما كنا آلات استخدمها المسيح ليتكلم فينا ويعمل فينا وبنا، وانسكب الروح القدس على الكثيرين؟

---

(١) كان عمل الرهبان قديما فى وحدتهم ضفر الخوص وعمل القفف والزنابيل وبيعها والاقتيات بثمنها.

لكن ما الذى حدث؟ لازلنا نلقى العظات القديمة، لكن المسيح لا يبالى بها لازلنا نسلك فى الطريق القديم لكن بلا نتيجة. لقد مضت أيام طويلة دون أن ينضم أحد إلى الكنيسة. لقد ربحنا أشخاصاً لأنفسنا لا للمسيح. ويبدو كأن الناس إذ تملقونا، ونحن تلذذنا بمديحهم. فقد تجاوزت السماء عنا، وأصبحنا عاجزين عن الوصول إلى نفوس البشر، وتكاد كنائسنا تموت جوعاً، لا يحضر إليها إلا المتقدمون فى السن، أما الشبان فليس من يبالى بهم، ولهذا فإنهم بعيدون عن نعمة الخلاص.

ربما يجول فى خاطر البعض منا هذا السوال:

"لعل المسيح أخيراً لم يعد يستخدمنى، ولا يقصد أن يستخدمنى فيما بعد. لقد فترت محبتى، وأصبحت غير مطيع له الطاعة الكاملة ولهذا فقد وضعنى على الرف". وهكذا أصبح مثل الأحجار الضخمة الموجودة فى بعلبك، لقد أعدت للبنيان، لكن الهيكل كاد يتم بدونها.

لعل سؤلا كهذا يجول فى خاطر كل من المستمعين "هل أنا مرفوض، إننى مسيحى واثق بأننى عندما أموت سيقبلنى المسيح إليه. أنا أعلم بأنه خلصنى بدمه الكريم، لكن هل كف عن أن يستخدمنى؟".

تأمل لحظة واحدة فى صفحات الكتاب المقدس لترى كيف أنها مليئة بالمرفوضين.

يسأبدأ بعيسو. لقد عاد من الصيد. إنه مولود وله حق البكورية. وتتضمن البكورية سلطان التوسط بين الله والعشيرة، والتحدث إلى الله نيابة عن البشر. إنه جائع، وهو ذا رائحة الطعام الشهية إذ أعد لأخيه يعقوب.

فقال لأخيه "اعطنى من هذا الطعام الأحمر".

فأجابه يعقوب بمكر "اعطنى بكوريتك الروحية".

أيوجد هنا الآن مسيحى اشتهى أكلة شهية فى الماضى؟ لا يوجد أحد من بيننا لم يجرب تجربة مغرية لحواسنا. قد يوجد بيننا الكثيرون الذين إذ يتطلعون إلى الماضى يجدون أنهم قد استسلموا للشهوة لا مرة ولا مرتين، بل مراراً كثيراً. لقد شربوا الخمر، أو تلذذوا بأية شهوة أخرى، واحتقروا البكورية.

سمعت مرة قصة كسرت قلبى، عن رجل متقدم فى السن كان الرب يستخدمه بقوة فى خدمته. سقط هذا الرجل فى بيته سقطة أخلاقية شنيعة. فذهب إليه صديق له ليوبخه. جلس الاثنان لتناول الشاى. لم يكن فى فنجانه سكر كاف. وفى أثناء الحديث الذى كان يدور حول سقطته، وعما إذا كان سيسمح له بالاستمرار فى الخدمة، قال باستخفاف:

"ليس فى فنجانى سكر كاف. اعطنى قليلاً من السكر".

فى تلك اللحظة الرهيبة من حياته كان تفكيره فى الشاى دون أن يفكر فيما إذا كان سيسمح له بالاستمرار فى الخدمة. لقد أكل وشرب، واحتقر البكورية.

ألم تأكل وتشرب قط مع احتقار بكوريتك؟ هل أنت متأكد بأن شهوة محبوبة لم تدخل قلبك لتفسد حياتك؟ هل أنت متأكد بأنه لا توجد فيك شهوة نهمة تطلب اشباعها؟

"اعطني إياها. لا بد أن أجدها. لا أقدر أن أعيش بدونها. اعطني إياها ولو أقتضى الأمر أن لا تكون لي نفس القوة الروحية التي كانت لي من قبل".

هكذا لا يزال الكثيرون يحتقرون بكوريتهم، ويصيرون مرفوضين. كان عيسو رئيساً كبيراً وناجحاً في هذا العالم. وأباً لسلسلة من الأمراء. وكان كل العالم يتملقه ويمدحه ظاناً أنه رجل ناجح موفق. أما الله فكتب فوقه هذه الكلمات:

"هذا رجل مرفوض. لقد أكل وشرب، وقام ومضى إلى حال سبيله. وهكذا احتقر بكوريته".

وإنني أقلب صفحات الكتاب المقدس وآتي إلى شاول، أول ملك في إسرائيل. كان رجلاً نبيلاً من نواح كثيرة. أرسله الله لاتمام مهمة. لكنه وضع تحفظاً على طاعته، وأخبر صموئيل بشيء من المراوغة. "مبارك أنت للرب. قد أقمت كلام الرب". (١ صم ١٥ : ١٣)

وفي تلك اللحظة سمع صموئيل صوت الغنم وصوت البقر، وقال له: ماذا يعني قولك أنك أقمت كلام الرب؟ "وما هو صوت الغنم هذا في أذني وصوت البقر الذي أنا سامع"؟

لست أريد الآن مهاجمة أنواع معينة من الخطية. ولو فعلت ذلك لكانت النتيجة أن الأشخاص الذين لم يهاجموا مباشرة يحولون كلامي إلى غيرهم ويبررون أنفسهم. لكنني أريد هنا أن آتي بكم وجهاً لوجه أمام الله الأزلي الأبدي، وأن آتي بضمائركم أمام العرش الأبيض العظيم، وأسلط عليها نور طهارة الله اللانهائية كنور كشاف سيعلن لكم هذا النور أنكم

وأنتم تعترفون بالطاعة قد احتفظتم لأنفسكم ببعض الغنم والبقر.

من الممكن أنك إذا ما ذهبت لبيت صديق، أو حتى إذا ما شممت رائحة نفسه، أو سمعته يتكلم، استطعت أن تعرف ما إذا كان قد سلم كل شيء لله، فقد تسمع صوت الغنم وأنت جالس معه. لقد أعترف شاول بأنه أطاع، لكنه احتفظ لنفسه ببعض الغنم والبقر. ومن أجل هذا رفضه الله. لقد ظل بعد ذلك على العرش عشر سنوات، لكنه كان مرفوضاً. وكان هنالك داود الصغير قد مسح ليخلفه.

وهكذا إذ أقلب صفحات الكتاب المقدس، وأتأمل فى حالة بعد حالة، ينكسر قلبى وأصرخ عالياً، لأننى لست أدرى من هو الذى سيمثل أمامى. إننى أريد أن أتحدث بكل رقة، وكل عطف، وكل محبة. لست أريد أن أجرح أى واحد. فإننى لم آت لكى أدين. لكننى أتحدث الآن بهذه الكيفية لأننى أعرف مقدار هول هذه الحفرة، ومقدار ما يعنيه من الأهوال أن يكون المرء مرفوضاً من خدمة الله.

كنتم تتوقعون أن أتحدث إليكم اليوم عن موضوع روحى عميق أو عن كيف تمتلئون بالروح القدس. لكننى لست أريد أن أحدثكم عن أى موضوع من هذه المواضيع العميقة المباركة قبل أن أدخل الى قلوبكم روح فحص الذات، حتى يستطيع كل واحد أن يوجه لنفسه هذا السؤال: "هل يمكنى وأنا خادم لله، أو عضو عامل فى الكنيسة، وأقدم من أموالى للأعمال الخيرية ـ هل يمكن أن أكون فى نظر الله مرفوضاً؟".

بعد خروجي من أحد الاجتماعات أخيراً أتانى زميل لى فى الخدمة وأمسك بيدى، وهزها بشدة وقال "لقد سررت جداً باجتماعك الليلة".

وحالما قال هذا أدركت بأننى قد فشلت فى رسالتى. فإنه كلما قال لى أى إمرىء أنه سُر باجتماع كهذا أدركت بأننى لم أمس قلبه.

تذكرون أنه عندما نزل يعقوب إلى مخاضة يبوق صارع مع الملاك، وصارع الملاك معه. وللحال مد الملاك يده وخلع حق فخذه، فضعفت قوته، وصار يخمع على حق فخذه. هل تظنون أنه كان ممكناً ليعقوب أن يذهب فى الصباح التالى، وهو يعرج، إلى زوجته المحبوبة راحيل، ويقول لها "لقد كان لنا وقت طيب طول الليل. وقد سررت به جداً".

لكنه بالأحرى لابد أن يكون قد قالها "لقد قضيت ليلة استنفذت قوتى، وتركت فى عاهة سوف تبقى إلى الموت. لقد صارعت مع ملاك الله المحب".

قد تكون هذه بداية عهد جديد فى حياة الكثيرين.

لكن يجب أن نبدأ من المؤخرة. يجب أن نبدأ من أصل اعتمادنا على أنفسنا. إن العنصر الاساسى فى كل فشل فى حياة الأفراد، وكل فشل فى الخدمات العامة، هو محبة الذات. طالما كان الرجال والنساء يظنون أن حياتهم لا غبار عليها فلا يمكن أن يُعمل لهم أى شىء. لكن عندما ينشأ فى داخلهم خوف لئلا، بعد كل ما مضى، تكون حالهم على غير ما كانت تبدو، أو يكونوا قد ارتكبوا خطية وكانوا مخدوعين فى أنفسهم،

عندئذ فقط يبدأون بأن يسألوا الله فى مخادعهم الداخلية "هل أنا تماماً كما كنت أتوقع ؟" عندئذ يبدأ القلب بأن ينكشف، ويدركون أن المرء يمكن أن يكون مرفوضاً ومع ذلك يعاد إلى حضن المسيح كما حصل لبطرس، الذى ظل مرفوضاً تقريباً مدة تقرب من الستة الأسابيع وبعدها صار رسول يوم الخمسين.

قال الرسول بولس لئلا أصير أنا نفسى مرفوضاً. لهذا، مع أن لى الحق الكامل أن أذهب إلى هيكل وثن، لكننى لن أذهب لئلا يتبعنى غيرى إذا ما رأونى، وهكذا يصير ما هو برىء لى موتاً لهم. سوف أمتنع عن الذهاب لئلا أهلك نفس أى إنسان بذهابى. لى السلطان الكامل أن أتزوج إن أردت. ولكننى سوف لا أتزوج. سوف أحيا حياة البتولية. وأعمل بيدى لانى إذ أعيش بتولاً فقد أمس حياة شخص آخر بتول. وإذ أعمل بيدى قد ينجذب إلىّ غيرى بروح العطف.

هنالك أشياء كثيرة بريئة يمكن أن يتمتع بها جسدى، لكننى لن أمسها لأننى أريد إن أقمع جسدى واستعبده، لئلا يستعبدنى ويسبب لى أن أصير مرفوضاً.

إن يسوع المسيح ابن الله ينتظر متلهفاً أن يستخدمنا لخلاص البشر لكن الكثيرين منا قد رفضوا، بل قاوموه. وأنى أحس كأننى أريد أن أطلب من كل مستمعى أن يتعرفوا بضعفهم وأخطائهم، وأن يطلبوا بأن لا يمر هذا اليوم المقدس دون أن نكون كلنا قد عدنا إلى حياة الشركة مع الله.

قال لى أحد الاصدقاء. إن المياه انقطعت كليتهم يوماً ما، ولم تصل اليهم نقطة ماء واحدة. وبفحص كل عملية توصيل المياة لم يوجد أى عيب. وأخيراً اكتشفوا وجود ضفدعة هائلة بين أنبوبة المياه الرئيسية وأنبوبة الكلية. وقد أدركوا أن هذه الضفدعة الكبيرة جداً كانت أولا مجرد جرثومة صغيرة لكنها تغذت على المياه وكبرت إلى ذلك الحجم حتى حجزت المياه.

أيها العزيز، هل صارت حياتك أخيراً فاترة؟ فلا دموع، ولا صلاة، ولا حرارة الايمان لم تقابل المسيح، لم تر وجهه منذ أيام طويلة، ولم يعد يستخدمك؟ لابد أن السبب يعزى لوجود شيء فى قلبك. كان يوماً ما بريئاً، أما الآن فإنه ضار.ليت الله يعلن لك هذا الشيء. أخلُ إلى نفسك فى هدوء، واجث قدام الله. إن أراد أى شخص أن يتحدث إليك فلا تضع له. اعتزل فى مكان منعزل، واجث قدام الله، وقل له:

"يا إلهى اغفر لى خطاياى.

اكشف لى خطيتى.

إعلن لى ماذا يعطل حياتى.

لا تسمح بأن اصير مرفوضاً.

بل استخدمنى فى خدمتك مهما كان الثمن".

العظة الثانية

«فسد الوعاء فعاد وعمله»

وقف مرة "بجانينى" أمام جمع غفير، وبدأ يقطع وتراً بعد وتر فى آلته الموسيقية، إلى أن بقى وتر واحد. فرفع آلته الموسيقية وقال:

"لم يبق إلا وتر واحد وبجانينى"

والآن، نحن فى حاجة إلى رجل واحد والله، نحتاج إلى أن يعمل الله فى رجل لكى يكون إناء فى يده. لكن قبل أن يعمل الله عن طريق أى إنسان يجب أن تكون لذلك الإنسان الحياة المستقيمة، وسوف أحدثكم الآن عن كيف يمكن أن يجعل الله حياة الإنسان مستقيمة لكى يكون نافعاً للخدمة.

فى العظة السابقة كدنا نصل إلى حالة اليأس. لقد وقفنا على حافة الهوة، وتطلعنا إلى أسفل فى الظلام، وخشينا أن نكون مرفوضين. والآن أحدثكم عن هذه الكلمات:

"فعاد وعمله" (إر ١٨ : ٤)

وما هذا الذى عاد فعمله؟ لقد أحس إرميا بروح الفشل. لقد ظن بأنه عاجز عن أن يعمل شيئاً يصد الشعب عن الهلاك. فقال له الله أن ينزل إلى بيت الفخارى، وهناك رأى الفخارى يأخذ قطعة من الطين ويضعها على الدولاب. وإذ وقف هناك يراقب العملية صور الفخارى الطين فى شكل وعاء. فاتخذ الوعاء فى يده شكلاً جميلاً. ولكنه حالما كمل، وكان يبدو أنه

لا يعوزه شيء، تحطم من بين يديه. سقط جزء منه على الدولاب وجزء آخر على الأرض. فظن إرميا أن الفخارى سيأخذ قطعة أخرى من الطين ويصنع منها الوعاء الذى يريده. لكنه بدلاً من هذا انحنى وجمع بيده قطع الطين المتناثرة. وإذ عجنها بيده وضعها ثانية على الدولاب وبدأ مرة أخرى يعمل فى هذا الطين. وللحال أخرج وعاء جميلاً.

منذ فترة طويلة أخذك الرب ووضعك على الدولاب، وفى خلال تلك السنوات الكثيرة كان الرب يسعى ليجعلك جميلاً. لكن لسبب ما لا أعلمه، الله يعلمه، وأنت تعلمه، قد حدث تصدع وأصبحت قطعة فخار مهشمة. لقد فسدت حياتك، ولم تعد بعد مثلاً أعلى، وهو ذا يحيط بك قطع متناثرة من الشخصية التى كان ينبغى أن تكونها.

لكن ماذا عساك تصنعه الآن؟ لقد وضعك الله فى هذا المركز لغرض سام، لكنك لم تدرك الهدف، أيأخذ الله رجلاً آخر ويعطيه ثروتك، أو يأخذ امرأة أخرى ويعطيها مركزك؟ أيأخذ الله طالباً آخر ويضعه فى كنيستك؟ أيدعو الله شخصاً آخر ليتمم العمل الذى كان ينبغى أن تؤديه كنيستك؟ لم يفعل الله هذا إلى الآن. إنه يستطيع أن يأخذ قطعة أخرى من الطين ويجعلها إناء. لكنه بدلاً من هذا يأتيك ثانية لكى يطلبك.

إن يده تجتاز فى هذا الاجتماع لتبحث عنك، لكى يعاد صنع أجزاء حياتك المهشمة ثانية، ويتمم المثل الأعلى الذى فسد. أيها الكاهن، أيها التاجر، أيتها السيدة، أيها الخادم المسيحى، إيها الطالب، أيها الأغنسطس، إن يد الله تبحث عنك الآن. إن يد الله تمسك بقطع حياتك المهشمة التى

فسدت. وإن سمحت له فإنه مستعد أن يبدأ الآن بأن يكمل طبيعتك ليجعلها ما قصدها أن تكون منذ سنوات طويلة عندما بدأت حياتك المسيحية.

لماذا فشلت؟ لأن حياتك فاشلة. أنك توارى فشلك بالذهاب إلى الكنيسة، بالاتكال على مجرد مظاهر المسيحية الخارجية، بالاندماج فى المسرات العالمية. أنت تعيش وسط إخوتك وأخوتك، ولكن لا يستطيع أحد أن يدرك الفشل الذى تشعر به، أو يعرف أن حياتك قد فسدت، وأنه ينقصك أشياء كثيرة، وأنك تتوق إلى جمال الحياة وطهارتها، وقوتها، ولكنك لم تصل اليها بعد. أنت تعرف بأن حياتك لم تحقق قصد الله. وأنت مستعد للاعتراف بهذا. ولماذا كل هذا؟ هل لان الله قد فشل؟ حاشا.

أنظر إلى هذه الأم تنحنى فوق المهد الذى يرقد فيه ابنها البكر. انظر كيف تعلو الابتسامة وجهها إذ تفكر فى النجاح الذى ترجو أن يكون حليفه فى السنوات القادمة. لكن مهما كانت آمال الأمهات من جهة أولادهن فهى لا توازن شيئاً بجانب ما يرجوه لك الله. إنه لا يكره شيئاً خلقه. وهو بمحبته اللانهائية يريد أن يتمم لك أسمى شيء.

إذاً فما هو سبب الفشل؟ هل لأنه ارتكب غلطة فى حياتك؟ هذا ما تظنه أنت. أنت تظن بأنك كان يمكن أن تكون أحسن حالاً لو أنك كنت غنياً بدلاً من أن تكون الآن فقيراً، ولو أنك كنت متزوجاً، وكان لك أولاد، ولو أنك حصلت على وظيفة أفضل من وظيفتك المتواضعة الحالية. لكننى أريدك أن تدرك أن الله أختاز لك نصيبك فى الحياة من بين عشرات الألوف

من الأنصبة التى كانت أمامه، لأنك تستطيع أن تصل إلى أسمى الإمكانيات فى الحالة التى أنت فيها الآن. وإلا لكان اللّه غيّر وضعك الحالى. لكن روحك، التى ولدت فى ملكوته، كانت موضع عنايته وتفكيره، هو يفكر فى أحسن الطرق لتهذيبك. وهو قد اختار نصيبك بكل تجاربه، وصعوباته، وكل الآلام التى تفت فى عضدك. ومع أن الناس لا يمكن أن يدركوا مقاصده إلا أنه قد أختار نصيبك، لأنه فيه يستطيع أن يجعلك تصل إلى أمجد حياة إن أردت.

وما هو سبب الفشل؟ تأمل. هوذا الدولاب أمامى وهو يدور بسرعة. لقد وضعته على الطين، وبدأت أصوغه. ولقد استسلم ليدى إلى أن وصلت إلى نقطة حيث صار الطين يعاكسنى إما بسبب عيب فيه، أو بسبب فقاعة هوائية فيه. وإذ تركت تلك النقطة بدأت من جديد أعمل فى الطين إلى أن وصلت إليها مرة أخرى فبدأت تعاكسنى أيضاً. إننى لا تعوزنى الكفاءة الفنية، ولا مهارة اليد. لكن الطين هو الذى عاكسنى، ومن أجل هذا فسد الوعاء أخيراً. هل ينطبق هذا عليك؟

منذ بضع سنوات كانت المشكلة فى حياتى هى التى أتحدث عنها الآن لقد كان الله يعمل فى حياتى لكى يجعلنى إناء صالحاً لخدمته. لكن كانت هنالك نقطة فى حياتى تقاوم الله كما يقاوم الطين يد الفخارى. لقد قاومت اللّه. ولا أريد أن أذكر عدد السنين التى قاومته فيها. لكن الفائدة الوحيدة التى أستطيع أن أستخلصها الآن من تلك السنين التى أكلها الجراد هى أن أكتشف سر الفشل فى حياة الآخرين، وان أخذهم إلى المسيح الذى

لجأت إليه أنا نفسى، وأن أشجعهم لكى يرجوا أن من استلم حياة تالفة منذ بضع سنوات وجعلها إناء صالحا لخدمته، يستطيع أيضاً أن يستلم حياة الآخرين، ويكتشف النقطة التى قاوموها منها، وإذ يكتشفها، فإنه يلمسهم فيها، ويعيد صنعهم عندما يسلمون حياتهم له.

والآن، ما هى النقطة فى حياتك التى تقاوم اللّه فيها؟ اسمح لى بأن أفحصك.

أين هى؟

كثيراً ما يأتينى الأشخاص ويتحدثون عن النقط المختلفة التى قاوموا الله منها. أتانى شخص مرة وقال إننى عندما كنت ألقى إحدى العظات طلبت من كل من يريدون أن يسلموا اللّه حياتهم كلها أن يقفوا. فرفض أن يقف، وكانت إرادته توحى إليه مدة بضعة شهور قائلة: "من هو هذا الإنسان الذى إذا ما أمرنى أقف إطاعة لأمره"؟

ظل يقاوم هذا الشعور بضعة شهور، إلى أن أتى إلىّ أخيراً وقال: "تعال، صلِّ من أجلى. أريد أن أعترف بأننى كنت أقاوم إرادة اللّه مدة بضعة شهور. الويل لى. ساعدنى لكى أجد السلام".

كنت فى إحدى المرات أقيم مع أحد الكهنة. لم أذكر شيئاً عن عادة التدخين. ولم أشر إليها. لكننا فى أحد الأيام كنا نسير فى شارع يؤدى إلى كوبرى. وإذ وصلنا إلى منتصف الكوبرى دهشت إذ رأيته يمسك بكيس التبغ والبيبة ويلقى بهما فى النهر قائلاً: "لقد حزمت أمرى، وانتهت

مشكلتى".

ثم ألتفت إلى وقال "أنا أعلم أنك لم تذكر شيئاً عن عادة التدخين. لكن اللّه كان فى الشهور الأخيرة يطلب منى أن أقدم مثلاً أعلى لشبان كنيستى. لكننى كنت أقول: لماذا لا أفعل ما أريد، ولماذا لا يفعلون هم ما يريدون؟ لقد كان الله يفحص حياتي. وأنا كنت أقاومه. لكن شكراً لله. فقد حلت المشكلة الآن. وأصبحت حياتى مرضية لله".

كانت شابة تنتظرنى عقب إحدى عظاتى، ولما رأيتها قلت لها "هل هنالك ما يدعوك لمقابلتى"؟

فأجابت "نعم يا سيدى أننى أتذكر بأننى منذ ثلاث سنوات أو أربع سنوات، إذ كنت تلميذة صغيرة فى المدرسة، طلبت منى إحدى زميلاتى أن أشترى لها بعض الحلوى. فاشتريت بنصف المبلغ الذى أخذته منها، وحجزت النصف الباقى لنفسى. لم تبرح هذه الخطية مخيلتى. وكان يبدو لى بأن اللّه يقول لى: "أعترفى، اعترفى، وردى المبلغ لصاحبته. لكننى كنت أقاوم هذه الفكرة طول الشهرين الماضيين. وكنت أقول لنفسى إنها لغباوة أن أفعل أمراً تافهاً كهذا".

فقلت لها: "يا بنيتى العزيزة، ليست غباوة أن تفعلى ما يرضى اللّه وتتممى إرادته".

جاءنى مرة شخص وقال لى "لا أعرف السبب الذى جعلنى لا أعيش الحياة السعيدة التى كنت أتمتع بها قبلاً".

فقلت: "وما الذى حدث"؟

فأجاب: "أعتقد أن السبب يرجع إلى معاملتى لأخى. فإنه سبق أن أساء إلى، فقلت إننى لن أصفح عنه. وإننى حزين جداً لأننى قلت هذه الكلمة. ولقد ساءت حالته جداً، وهى فى كل يوم تسير من سيىء إلى أسوأ. لقد ماتت زوجته، ومات ابنه. وهو الآن على فراش الموت، ولا أقدر أن أذهب إليه لأننى سبق أن أقسمت إننى لن أذهب إليه".

فأجبته: "يا صديقى، إن تحنث بقسم خاطىء أفضل بكثير من أن تتممه. فأذهب لأخيك". فذهب وللحال نال هناك السلام الكامل وراحة البال.

منذ ستة عشر عاماً كنت خادماً فى إحدى مدن انجلترا، ولم أكن أشعر بالسعادة قط. كنت أؤدى خدمتى من أجل الماهية التى أتقاضاها. ومع ذلك فكنت أحتل مركزاً طيباً بين زملائى، ثم تعرفت بهدسن تيلر وطالبين. راقبتهم عن قرب، فوجدت إنهم يمتلكون شيئاً لا أملكه أنا. لأنهم كانوا فى ملء القوة والفرح. فقلت لأحدهم:

"ما هو الفرق بينك وبينى؟ تبدو عليك علامات السعادة، أما أنا فلا أشعر بشىء من هذا".

فأجاب: "إننى لا أمتلك شيئاً لا تستطيع أنت الوصول اليه"

فسألته: "وكيف يمكننى الوصول إليه"؟

فأجاب : "هل سلمت حياتك بكليتها لله"؟

وعندئذ جزعت. لأننى أعلم أنه إذا كان هذا هو المطلوب فإنه توجد

هنالك نقطة كنت فيها أقاوم ضميرى مدة بضعة شهور كنت أحاول أن أتاساها، لكننى كنت عندما أمارس فريضة العشاء الربانى، أو عندما أحضر مؤتمراً دينياً، أو عندما أقابل جماعة من الأتقياء. كانت هذه النقطة هى التى حطمت إرادتى. وفكرت فى نفسى أننى يجب أن أحسم الأمر أمام المسيح تلك الليلة فجثوت على ركبتىّ أمام المسيح فى غرفتى، وسلمته حلقة مفاتيح إرادتى. لكننى أحتفظت بمفتاح واحد صغير، هو مفتاح غرفة صغيرة فى قلبى. وعندئذ قال لى:

ـ هل هذه هى كل المفاتيح؟

ـ فأجبت : هى كل المفاتيح إلا واحد.

ـ وما هو هذا المفتاح؟

ـ هو مفتاح خزانة صغيرة، احتفظ فيها بشىء لا داعى لك لكى تتدخل فيه، فهو يخصنى.

وإذ أعاد إلىّ المفاتيح ووضعتها فى يدى، وبدأ كأنه يريد الانسحاب إلى الباب، قال:

ـ يا بنى، إن كنت لا تأتمننى على كل شىء، فإنك لا تأتمننى على أى شىء.

ـ فصرخت: قف. وعندئذ بدا كأنه يريد العودة وإذ أمسكت بالمفتاح الصغير قلت على الفور: لا أستطيع أن أسلمه. لكنك إن أردت أن تأخذه فخذه.

فأخذه، وفى أثناء شهر من ذلك الوقت نظف تلك الخزانة من كل ما ظل بها عدة شهور، وتأكدت من هذا.

واسمحوا لى بأن أضيف كلمة، منذ ثلاث سنوات تذكرت ذلك الشيء الذى سلمته فى تلك الليلة. وإذ تذكرته لم أستطع أن أطيق نفسى إذ كنت غبياً جداً حتى كدت أبيع بكوريتى من أجل أكلة واحدة تافهة كهذه.

تطلعت إلى وجه المسيح وقلت: من الآن أنا ملك لك. وعندئذ بدا لى كأن هذه بداية خدمة جديدة، لقد وضعنى الله على دولابه ثانية، لقد عاد وعلمنى. ومنذ ذلك الوقت يعمل معى. لقد تعلمت فى تلك الليلة أن أطيع، ومنذ ذلك الوقت وأنا أطيع.

قد تقول لى يا صديقى: صحيح إن حياتى قد فسدت. لكننى قد تقدمت فى الأيام، فهل هنالك رجاء لى فيما بعد؟

إن الآية تقول "فعاد وعمله"، إن للرب يسوع المسيح كل القدرة على تجديد حياة البشر مهما كانت أوضاعهم.

خذ مثلاً يعقوب المخادع المخاتل. لقد قابله اللّه ثانية فى مخاضة يبوق، وحولّه إلى إسرائيل، وجعله رئيساً مع الله.

وبطرس، عاد الله وعمله، حتى أنه جعله واسطة فى يوم الخمسين لسكب الروح القدس. كذلك عاد وعمل يوحنا الملقب مرقس الذى ترك بولس وبرنابا أثناء رحلتهما الأولى . لكن بولس قال عنه فيما بعد "خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة" (٢ تى ٤ : ١١). إن اللّه مستعد وقادر على أن يعود ويعملك. إنه يستطيع أن يجدد حياتك ويغيرها

تغييراً كلياً. وإن كنت قد فشلت فى الماضى فذلك راجع إلى أنك كنت تقاومه. لكن هوذا الرب يأتى بيديه المثقوبتين ويقول لك:

سلم لى حياتك، سلم فقط، وأنا أعود وأعملك.

هنالك وعد بالامتلاء من الروح القدس. وهذا الوعد مقدم لنا أجمعين. لكن يجب أن نسلم له الحياة. إن جمال حياة الامتلاء بالروح القدس لا يعادله جمال فى هذا الوجود.

يا من تبحثون عن السعادة فى الظروف والأشياء المحيطة بكم، وفى الأشخاص المحيطين بكم، عيشوا فى أرض الموعد.

إنكم تعيشون بدونها. وإنكم دواماً تريدون سلوك الطريق إليها. إنها فى الروح القدس. إنها فى المسيح. إن السماء معدة للجميع لكنكم لن تحصلوا عليها إلا إذا اتخذتم الخطوة التمهيدية. لذلك يجب أن تخلوا إلى أنفسكم كما فعلت أنا منذ ستة عشر عاماً. يجب أن يجثوا أمام المسيح وتقولوا له:

"أيها الرب يسوع المسيح، إننى أسلمك نفسى، أسلمك إرادتى. إننى بإرادتى أخضع لك. أنت الفخارى! وأنا الطين تمم إرادتك فىّ".

لاحظ أنك إذا سمعت المسيح يقول "ما هذا؟" وقلت له "هذا ملك لك". فإنه يبدأ فى الحال بأن يجعل حياتك الحياة الجميلة السعيدة. أما إذا رفضت، فإنك تبقى كما كنت، وتبقى حياتك الحياة الهزيلة، وتبقى فى مقاومتك للمسيح.

فى "كيزك" وهى قرية جميلة فى انكلترا، نجتمع مرة كل سنة لنتحدث عن هذه المواضيع. فى الساعة العاشرة مساء، والحادية عشر، والواحدة

صباحاً، تجد أنواراً مضاءة. وأعترف بإننى كلما رأيت هذه الأنوار مضاءة رقص قلبى طرباً، لأن كل ضوء يعنى جهاداً فى الصلاة، وكل ضوء يعنى أن هنالك شخصاً يسلم نفسه للمسيح.

عندما سلمت حياتى لله فى تلك الليلة قال لى الشيطان: لا تفعل. إذا ما سلمت جزءا ضئيلاً لله طالب باضافة. إذا ما خضعت فى أمر واحد كان لابد لك من أن تخضع فى كل شيء. ولست تعلم إلى أين ينتهى بك المطاف.

فى بداية الأمر كدت أصدق. لكننى بعد ذلك تذكرت ابنتى التى كانت فتاة صغيرة وقتئذ، وعنيدة تصر على أن تفعل ما تريد وعندئذ قلت لنفسى وأنا جاث على ركبتىّ:

هب أنها أتت وقالت : يا أبى من هذه الليلة أضع حياتى بين يديك، فتصرف فيها كما تشاء. فهل أدعو أمها بجوارى وأقول لها إننى سأفعل لها كل ما يضايقها؟ كلا، بل أقول لها إن ابنتنا ستسلك حسبما نريد من الآن. فهل تعرفين ما الذى يضرها.

ـ نعم، كذا وكذا هو الذى يضرها.

ـ وهل تحبه كثيراً

ـ نعم

ـ آه، يجب أن تكف عنه، لكننا يجب أن نسهل عليها هذه المهمة على قدر استطاعتنا. يجب أن ننتزع عنها كل ما يضرها، ونقدم إليها كل ما

يسعدها.

هذا ما يقوله لك اللّه. إنه ينتزع منك فقط ذلك الشيء الواحد الذى يضرك. لكنه سوف يعطيك أشياء كثيرة جداً. ليست لديك فكرة عما يفعله اللّه لك. قل "إننى أريد".

لكننى أعترف بأننى أنا شخصياً قلت "ليست الإرادة حاضرة عندى يارب، لكننى أريد أن تخلق فىّ الإرادة".

ليت الله يساعدك لكى ترفع هذه الطلبة ولكى ترفعها الآن.

العظة الثالثة

الإنسان الطبيعى

لولا أننى أؤمن بالروح القدس لترددت كثيراً عن التحدث عن الفلسفة العميقة التى يعالج بها الرسول بولس موضوع حياة "الذات" لكننى أؤمن بأن الروح القدس سيستلم كلماتى الضعيفة، ويتحدث بها إلى كل منكم.

لنقرأ معاً كلمات الرسول بولس "الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة(١) . ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً" (١ كو ٢ : ١٤).

"الإنسان الطبيعى(٢)" أو "الإنسان النفسانى" حسب الترجمة اليونانية، أى الإنسان الذى تكون فيه النفس هى كل شىء، أما الروح فهى كغرفة مظلمة غير مأهولة.

كان الهيكل قديماً يكوّن من: الدار الخارجية، القدس، قدس الأقداس. فالدار الخارجية تمثل جسدنا، والقدس يمثل النفس، وقدس الأقداس يمثل الروح. فى الشخص المتجدد الروحانى يكون قدس الأقداس قد أحتله الروح القدس، أما فى الشخص العالمى الجسدانى فإن قدس الأقداس يكون مظلماً وغير مأهول، ويكون فى أنتظار مَن يحتله. والإنسان الطبيعى هو الشخص الذى تكون روحه خالية من الله.

---

(١) "لأن ذلك جهالة عنده" حسب ترجمة اليسوعيين

(٢) "الإنسان الحيوانى" حسب ترجمة اليسوعيين، أو "الإنسان الشهوانى" حسب ترجمة الفولجاتا

وفى الآية الخامسة عشر من نفس الأصحاح نقرأ هذه الكلمات "وأما الروحى فيحكم فى كل شيء وهو لا يحكم فيه من أحد".

هنا نرى الإنسان "الروحى"، الذى تتجاوب فيه روحه مع الروح القدس، الذى يتحدث ويريد ويعيش حسب ارشاد الروح القدس. نفسه. آه، ليت كل مؤمن يكون روحياً حقاً، يحتل الروح القدس روحه.

وفى الاصحاح الثالث من نفس الرسالة يقول الرسول بولس فى أول آية "وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح".

هذا يعنى أن الإنسان الجسدى شخص مسيحى، لكنه طفل فى المسيح. قد نظن أن الإنسان الجسدى شخص فاسد. لكن الأمر ليس كذلك. هو شخص متجدد، هو فى المسيح، والمسيح فيه، لكن بدلاً من أن يكون المسيح هو الغالب والسائد فيه، يكون العنصر الجسدى هو الغالب والسائد فيه.

إننى أعتقد بأنه يوجد مئات من الأشخاص فى المسيح، لكنهم أطفال فى المسيح. المسيح فيهم، لكن تنافسه فيهم حياة الذات. كانت حياة الذات فيهم مرتدية بالخرق البالية، لكنها الآن مرتدية بمظاهر الديانة. ومع ذلك فهى لا تزال حياة الذات، وقد تتغلب فى المسيحى على الحياة المسيحية، وتصبح مصدر ظلام لا يعبر عنه وحزن شديد.

ليت الله يعيننى الآن لكى يعكس الوضع فيخرج خارجاً العنصر الجسدى، ويصلب، ولكى يكون عنصر المسيح هو السائد فى حياتكم.

لكى تستطيعوا أن تدركوا ما هو العنصر الجسدى أقول إن الرسول لا

يعنى الجسد الطبيعى بل يعنى عنصر الذات. هذا ما نتبينه من (رو ٧ : ١٨) حيث يقول "ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شيء صالح". فجسدى هو ذاتى، أى حياة الذات. وطالما كانت الذات هى فى المقدمة "والمسيح ثانوى"، فإننى أحيا حياة الجسد، حتى ولو كنت فى المسيح، ونلت الخلاص.

أربع مميزات لحياة الجسد:

(١) حياة الجسد هى حياة الطفولة وهل هنالك أحلى وأجمل من الطفل؟ يا لجمال ذلك الطفل الصغير، ونحن نشتهى أن نحمله ونحتضنه. ولكن ما هو محبوب وجميل فى الطفل الصغير فى شهوره الأولى قد يصبح غير محبوب وغير جميل بعد اثنى عشر شهراً، وبالأحرى بعد عشر سنوات. وما هو محبوب فى المؤمن فى بداية حياته المسيحية قد يصبح غير محبوب وغير جميل بعد عشر سنوات أو بعد عشرين سنة. التقيت بأشخاص لا يزالون ـ بعد عشرين سنة من تجديدهم ـ يستعملون نفس التعبيرات التى كانوا يستعملونها عند بداية حياتهم الروحية. فإذا كنت لا تزال تعيش فى دائرة اختباراتك الأولى، وإحساساتك الأولى، وصلواتك الأولى، إذا كنت لا تنمو. ولم تتقدم معرفتك لله، ولم تتقدم معرفتك للكتاب المقدس، ولم تتقدم معرفتك لنفسك، ولم تتقدم معرفتك للمسيح، فأنت لا تزال طفلاً صغيراً، وأنت بعد جسدى.

(٢) والإنسان الجسدى يعيش على اللبن. قال الرسول بولس "سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون" (١ كو ٣ : ٢). اللبن غذاء مر فى عملية هضم شخص آخر. والطفل لا يستطيع

أن يتناول الطعام القوى، ولهذا فإن الأم تأكل الطعام، وتهضمه، ثم تسقى الطفل من لبنها. هكذا لا يقدر الكثيرون من المسيحيين أن يهضموا الكتاب المقدس، لا يقدرون أن يستخلصوا لأنفسهم دروساً منه. ولهذا يجب أن يتغذى به خادمهم، ثم يغذيهم بالملعقة. إن خدام المسيح يشبهون المرضعات. يجب عليهم أن يقضوا أوقاتهم فى خدمة شعبهم، فيطيبون قلوبهم، وينيمونهم، ويوقظونهم، ويطعمونهم. وإذا لم يطعموهم بالمعلقة ثلاث أو أربع مرات فى الأسبوع فلا يعلم ماذا تكون النتيجة. وإن كنت فى هذا الوضع بحيث أنك يجب أن تتناول الحقائق الروحية عن طريق عملية هضم شخص آخر، فأنت بعد طفل.

(٣) والمسيحى الجسدى أيضاً يميل للتحزب والانقسام "إنا لبولس، وأنا لأبولس، وأنا لصفا" (١ كو ١ : ١٢). آه. إن اهتمامنا بالحظيرة أكبر من اهتمامنا بالخراف، وتفكيرنا فى السياج أكثر من تفكيرنا بالخراف. فالواحد يقول أنا أنتمى لهذه الكنيسة، والأخر يقول أنا أنتمى لتلك الكنيسة لأنها هى الأفضل. وهكذا نقضى نصف الوقت فى المنازعات الطائفية. وحالما يبدأ المرء بالسلوك فى هذا السبيل، وينسى كنيسة الله الواحدة الجامعة، كنيسة المسيح، فإنه مسيحى جسدى، وهو بعد طفل.

(٤) أود أن أتقدم بكم إلى الأمام خطوة أخرى، لأننى أريد أن أوضح قصدى وضوحاً تاماً. لنرجع إلى (عب ٥ : ١٤) حيث نجد هذه الكلمات: "وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر".

هنا نجد صفة أخرى تميز المسيحى الجسدى. فإنه هو الذى لا يقدر أن يدرب حواسه على التمييز بين الخير والشر. عندما رجعت إلى إنكلترا من رحلة إلى ما وراء المحيط الأطلسى كانت انفى حساسة جداً. فإن اوزون المحيط الأطلسى النقى جعلنى حساساً جداً لتمييز أية قذارة. بعد ذلك ذهبت للاقامة فى الريف مع بعض الأصدقاء، وفى كل تلك المدة كنت أشتم رائحة كريهة. فقلت:

ـ ما هذا؟

ـ فاجابوا: لم يحصل شيء كريه

ـ فقلت: أنا متأكد أنه يوجد شيء كريه.

وبعد البحث أتضح أنه توجد على بعد نحو ميل واحد مزرعة تروى بمياه المجرى، وهذه هى التى أفسدت الجو. ولم يستطع أصدقائى أن يتبينوها لأنهم لم يتدربوا على عبور المحيط الأطلسى.

هكذا يوجد أشخاص يقرأون روايات مليئة بالأفكار النجسة، ولكنهم لا يحسون بأى ضرر، مع أن الضرر يكون قد حدث أكيداً. يوجد رجال ونساء يصغون إلى أحاديث نجسة ولا يدركون نجاستها. يوجد رجال ونساء يذهبون هنا وهنالك فى العالم ويختلطون بملذاته وخطاياه، ومع ذلك يدعون أنفسهم مسيحيين، ذلك لأنهم لا يقدرون أن يميزوا بين الخير والشر.

هل هذه المميزات الأدبية تنطبق عليك؟ إننى هنا بمثابة جراح، ويجب أن أساعدك لكى تشرح نفسك لتعلم أين أنت. هل أنت تنمو؟ هل تعيش على الطعام القوى الذى للكتاب المقدس هل تميل للتحزب والانقسام؟ هل

لديك القوة للتمييز بين الخير والشر؟ بهذه المقاييس الأربعة يمكنك أن تعرف إن كانت حياة المسيح هي الغالبة فيك أم حياة الذات.

لنذهب إلى العمق أكثر. عندما خلق اللّه الانسان أعطى كل الكائنات العاقلة ذاتا، قوة على التمييز من تلقاء ذاتها. وأعطى الملائكة ذاتاً. والشياطين أيضاً لها ذات. لأنها كانت ملائكة. وقد قصد اللّه أن تكون الذات معتمدة عليه، لكي يلتفت المسيحى إلى الخالق ويقول: "تمم إرادتك فيّ وبي".

وعالم النبات ـ الزهور والأشجار ـ تعتمد على اللّه اعتماداً كلياً، وهذا ما يجعلها جميلة جداً. تأمل زنابق الحقل وأشجار الارز كيف تنمو.

والملائكة الذين حفظوا حالتهم الأولى يعتمدون على اللّه. فاللّه يتمم إرادته عن طريقهم، ويعمل عن طريقهم.

والشيطان كان رئيس ملائكة يعتمد على اللّه لكنه سقط في بالوعة الاعتماد على ذاته، وبدأ يجعل ذاته كل شيء، وهكذا بدأ يكون في جهنم، لأن جهنم هي الاعتماد على الذات دون اللّه، أما السماء فإنها هي الاعتماد على اللّه دون الذات. لقد سقط الشيطان وسقط أيضاً جنوده الذين اعتمدوا عليه بدلاً من الاعتماد على الله.

وعندما خُلق الانسان عبر الشيطان الهاوية ووسوس إليه قائلاً: كن إلهاً، اعتمد على ذاتك، إتخذ طريقك، اعمل ما تريد.

والانسان في سقوطه منع طبيعته عن الاعتماد على اللّه، وجعل ذاته هي كل شيء. ولقد أصبح هذا العالم ملعوناً اليوم؛ لأن الرجال والنساء يعيشون

لذواتهم، ولحياة الجسد. إن اهتمام الجسد عداوة لله، وظلام، ويأس.

المسيحية فن، فن عميق، تحاول التخلص من الشر وإلا سقط المرء فى محبة الذات، وذلك بتحوله من المسيح ابن الله إلى الذات.

أليس عجيباً أن الديانة الهندستانية والمسيحية تعالج كل منهما أصل الشر. لكن الهندى يحاول التخلص من حياة الذات بحصر التفكير فى الأبدية إلى أن تخمد الشهوات الجسدية. أما المسيحى، الذى يرى أيضاً أن حياة الذات لعنة، فإنه يتخلص منها بالفلسفة والتصرفات التى ساشرحها الآن.

إن حياة الذات تظهر نفسها فى أشكال مختلفة :

"وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة دعارة عبادة الأوثان سحر دعارة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد سكر بطر وأمثال هذه" (غل ٥: ١٩ ـ ٢١). هنا نجد أن الشهوة هى المحركة لحياة الذات.

"أهكذا أنتم أغبياء. أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد" (غل ٣: ٣). وهنا نجد أن حياة الذات تحاول أن تكمل نفسها. كانت هنالك فى غلاطية جماعة تحاول أن تكمل نفسها بمجهودها الشخصى. ومنذ ذلك الوقت لا يزال يوجد الكثيرون الذين يحاولون أن يكونوا صالحين بمجهوداتهم الذاتية.

"لا يخسركم أحد الجعالة راغباً فى التواضع وعبادة الملائكة متداخلاً فى ما لم ينظره منتفخاً باطلاً من قبل ذهنه الجسدى، وغير متمسك بالرأس الذى منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله"

(كو ٢ : ١٨ ، ١٩). وهنا نجد تدخلاً فى الأمور الإلهية، وعدم الخضوع لإرادة الله، أو لتعليم الله.

"فاذ أنا عازم على هذا العلى استعملت الخفة أم أعزم على ما أعزم بحسب الجسد كى يكون عندى نعم نعم ولا لا" (٢ كو ١ : ١٧). وهنا نجد حياة الذات تدبر وترتب لنفسها، أما الرسول فيقول "لست أريد أن أدبر حسب الجسد".

إذاً فنحن نرى أننا دواماً فى خطر عمل ما هو صالح بدافع من أنفسنا. هذه لعنة لنا. عندما أسمع عن شخص كرس نفسه لله أقول لنفسى "سأفعل مثله". وعندما أسمع عن شخص يجذب حوله جماهير كثيرة باستعمال الفانوس السحرى، أو بأية آلة جديدة أقول "سأفعل مثله". عندما أسمع عن مَدْرسة تدرس نوعاً معيناً من التعليم التحق بها لاعتقادى أنها سوف تكسبنى احتراماً أوفر وسمعة أطيب، لكننى لا أتبين أن حياة الذات هى الباعث على كل هذا إلا بعد أن أبدأ بأن أراقب عمل الذات فى داخلى.

وكيف يمكننا التخلص من حياة الذات؟

هنالك ثلاث خطوات. الصليب، الروح القدس، التأمل فى قيامة المسيح من الأموات: لنتأمل فى هذه الخطوات الآن، وليعلن لنا الروح القدس هذه الأسرار المباركة.

(١) الصليب. الآن أريدكم أن تدركوا بأن الرب يسوع المسيح قدم ذاته ذبيحة كفارية على الصليب من أجل خطايا العالم كله. لكن هنالك معنى آخر للصليب. لنرجع إلى (رو ٨ : ٣، ٤). "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه

فيما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد. لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح". فالله أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية.

"لأجل الخطية" إشارة إلى أنه يحمل الخطية نيابة عنا

"فى شبه جسد الخطية" إشارة للصليب للتقديس.

على الصليب صلب الله ـ فى شخص المسيح ـ شبه جسدنا الخاطىء. ولست أستطيع أن أفسر لكم هذه العبارة أكثر من هذا. لكننى أعلم هذا أنه بعد رؤيتى للمسيح كذبيحة قدمت عنى لم يؤثر فى حياتى شىء مثل رؤيتى لصورة ذاتى الخاطئة فى المخلص الذى بلا خطية، الذى مات لأجلى. وإننى لأقول لنفسى:

"لقد صلب الله شبه حياة ذاتى الخاطئة على الصليب. إن الصليب رمز التحقير واللعنة، فملعون كل من علق على الصليب. وإن كان الله قد عامل شبه ذاتى الخاطئة ـ عندما حملها المسيح الذى بلا خطية ـ كمستحقة للعنته، فكم يكون كريهاً جداً فى نظر الله أن احتضنها وأعانقها وأعيش فيها".

إية أيها الصليب العجيب. لكن ليس هذا هو كل ما فى الأمر فالمسيح وأنا واحد. وفيه علقت أنا هناك على الصليب. فى المسيح تخلصت من ذاتى، وإذ جثوت عند صليبه اتحدت معه فى موته، واستودعت ذاتى للصليب. كأننى قد أخذت حياة ذاتى بشهواتها، وكبريائها، ومساعيها نحو

الكمال، وسقطاتها، وضعفاتها، ودينونتها للآخرين، وكراهيتها. أخذتها كشيء دنس وقلت:

"أنت ملعونة. يجب أن تموتي، لقد صلبتك إلهي على هذا الصليب. تعالي. سوف أضعك هناك بمحض اختياري، بإرادتي، بإيماني. تعلقي على الصليب".

بعد تلك اللحظة (وانتم تذكرون ما ورد في غل ٥ : ٢٤ "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات")، بعد تلك اللحظة أتت اللحظة الحاسمة في حياتي. لقد اعتبرت حياة ذاتي، منذ ذلك الوقت إلى الآن، على الصليب، واعتبرت أن موت المسيح يقف بيني وبين ذاتي.

واسمحوا لي بأن أزيدكم إيضاحاً، افرضوا أن فتاة تزوجت رجلاً شريراً سكيراً، وبعد أن عاشت معه بضع سنوات في عذاب أليم أتت لحظة التحرر منه حيث طلقت منه، وبعد ذلك تزوجت برجل كامل أصبح لها كل شيء في حياتها. وكلما سعى زوجها السابق لإعادتها إليه تذكرت اللحظة التي تحررت فيها منه وقالت:

"لقد تحررت منك منذ تلك اللحظة. فلا تلمسني".

وإذا ما سعى مرة أخرى للاقتراب منه ازدادات هي في الاقتراب والاتصاق بزوجها المخلص الأمين الذي أحبته، ووضعته بين ذلك الشرير وبينها، وهي لا يمكن أن تنسى تلك اللحظة التي تحررت فيها منه.

والآن تأمل في هذا، وصلِّ. سوف أعلن عن زواجكم بالمسيح، وابين لكم كيف أن المسيح حل محل الذات. لكن يجب أن نتحرك معاً، أيها

الأحباء. وسامحونى إن كنت لحوحاً. إنكم لن تنتفعوا من هذه العظة إلا إذا طبقتموها على أنفسكم فصارت عملية فى حياتكم. لهذا أطلب منكم أن تجثوا أمام صليب يسوع، وأن تدركوا سبب فشل حياتكم الروحية. إن سبب فشلكم هو أنكم لم تضعوا ذاتكم حيث وضعها الله. فاتحدوا أنفسكم بدموع بموت المسيح. وإذ تفعلون هذا تذكروا أن تفعلوا ما طلبه المسيح من بطرس أن يفعله.

ـ قال بطرس: أنت المسيح.

ـ فأجاب المسيح: حسناً قلت وأننى سوف أموت.

ـ قال بطرس: يجب أن لا تفكر فى هذا. اشفق على نفسك.

ـ آه، هذا ما سوف تسمعه يقال لك ألف مرة: اشفق على نفسك.

ـ قال يسوع: اذهب عنى، إن الشيطان هو المتكلم فيك، هذه هى روح الشيطان. إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه. ويحمل صليبه، ويتبعنى.

قل ما شئت عن المسيحية، أما أنا فأؤكد لك أنها قد أسىء فهمها مع الأسف الشديد من الأغلبية الكبرى من المسيحيين، فإنهم يظنون أن المسيحية لا تمس إلا الأشياء الحسية المنظورة، مع أنها تمس أيضاً ـ وعلى قدم المساواة ـ الأشياء الباطنية الداخلية. إنهم يظنون بأنها تعنى الاعتماد على المسيح ليخلصنا من خطايانا فقط، مع أنها تعنى أيضاً الاعتماد على المسيح ليخلصنا من أنفسنا، التى هى لعنة حياتنا.

حينما تتطفل حياة الذات وتفرض نفسها عليك اعتبر نفسك ميتاً عنها، اعتبر بأن الصليب قائم بينك وبينها.

لكنك قد تقول : لا أعرف كيف أعيش هكذا. سوف أكون دواماً على أحر من الجمر، سوف أكون دائماً متألماً لعدم استطاعتي التمييز عما إذا كانت هي الذات أم لا، ولست أعرف كيف أعيش.

(٢) آه، لقد خطر ببالي أنك ستقول هذا. فإنني أنا نفسي سبق أن قلت هذا. وهنا تأتي النقطة الثانية، أي الروح القدس.

"إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو ٨ : ١٣) . وأيضاً "الروح يشتهي ضد الجسد" (غل ٥ : ١٧) .

إن المسيح ـ بروح أزلي ـ قدم نفسه للّه بلا عيب. وبروح أزلي يمكن أن يقاوم حياة الذات البغيضة في حياتك وحياتي. وكما أنك إذا ما أصبت بالحمى تتعاطى العقاقير التي تقاوم جراثيم المرض، هكذا إذ أتحول عن تلك اللعنة أجثو أمام الروح القدس وأقول:

ياروح اللّه املأني، املأني، املأ كل كياني، وعمقني في شركتك أكثر فأكثر. طهرني يوماً فيوماً، طهر جسدي، طهر حياة الذات في داخلي. قاومها، واخضعها تحت قدمي المسيح.

أما الروح القدس فإنه يتمم هذا.

لكنك قد تقول: إنني أخشى أن تؤذيني حياة الذات إن كنت أعاملها هكذا دواماً. سوف تكون كأنها واقفة بجانب نعش وترى الموت يعمل على انحلال جثة.

(٣) هذا يقودني إلى النقطة الثالثة، فأجيب ـ وهذا هو وجه الجمال فيها ـ أنه إذ يعمل روح الله في عمق قلبك على مقاومة حياة الذات فإنه

يتمم هذا بأن يجعل يسوع المسيح حقيقة حية لك. أنه يركز تفكيرك فى يسوع، فتحصر تفكيرك فى الروح القدس ويكاد ينعدم تفكيرك فى نفسك. واذ تفكر فى الروح القدس فإن عملية انحلال وموت الذات تتم فى داخل قلبك فى كل وقت تفكيرك هذا.

قال لى أخت عزيزة مرة: سوف أقضى يوماً كاملاً فى الصلاة طالبة الامتلاء بالروح القدس.

ثم ذهبت إلى غابة وعادت فى الليل وهى تقول لى:

كان يوماً عظيماً. لكن أخشى أن أكون قد منيت بالفشل، لأننى لست أشعر بالمزيد من عمل الروح القدس الآن فى داخلى أكثر مما كنت أشعر به من قبل.

فأجبتها: لكن هل ازدادت شركتك مع المسيح؟

فقالت لقد ازددت تمتعاً به وتعلقا به أكثر من كل وقت مضى.

فأجبتها: يا بنيتى العزيزة، هذا هو عمل الروح القدس، لأنه يمجد المسيح. وكلما ازداد عمله ازددت محبة للمسيح.

أيها الأحباء سامحونى فإننى أشعر بتقصير شديد فى توضيح أعمق أسرار الكتاب المقدس. لكننى فقط أتوسل إلى اللّه أن يرشدكم الروح القدس لتدركوا كيف تجعلون المسيح مركز الدائرة فى حياتكم.

هل كانت الذات هى مركز حياتكم فيما مضى؟ إنة أيتها الذات البغيضة، ياباراباس، ياباراباس، إلى الصليب اذهب. العالم يقول: لا تطلق المسيح بل باراباس، الذات. أما المؤمن فيقول: لا تطلق باراباس، بل المسيح.

ليت الرب يوضح هذا لكم، من أجل اسمه.

العظة الرابعة

حياة المسيح بدل حياة الذات

فى عظتى الثانية رأينا أن الارادة هى أكبر عائق ومعطل لنا. فنحن نفعل، لا ما نحس به أو نفكر فيه أو نتمناه، بل ما نريد. وفى العظة الثالثة رأينا أن علتنا تنحصر فى جعل الذات محور حياتنا، وأن هدف المسيحية الوحيد هو أن نضع المسيح حيث يضع الانسان الذات. وأريد الآن ـ بنعمة الله وارشاد الروح القدس ـ أن أبين لكم كيف يمكن أن يتم هذا. فلنقرأ ما ورد فى رسالة غلاطية.

فى (غل ٥ : ١٩) نرى أعمال الذات "زنى. عهارة. نجاسة. دعارة. عبادة الأوثان. سحر . عداوة. خصام. غيرة. سخط. تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل. سكر. بطر. وأمثال هذه". حيثما أظهرت طبيعة الانسان نفسها أظهرت شهوة الجسد نفسها فى أماكن اللهو وبيوت الدعارة.

اقرأوا أيضاً (غل ٣ : ٣) : "أهكذا أنتم أغبياء. أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون (١) الآن بالجسد"؟ أتريدون أن تكونوا كاملين وأنتم فى الجسد؟ فى الشخص المتجدد، عضو الكنيسة، لازالت توجد حياة الذات. ومع أنك لا تجده فى أماكن شريرة مرتكباً أعمالاً شائنة إلا أنه لا تزال الذات تعمل فى قلبه. أنه يقدم اشتراكاته أو تبرعاته لكنيسة لكى يرى الناس مقدار ما يعطى. إنه يحاول أن يرضى الله بصلواته، وتناوله من الأسرار المقدسة،

(١) "تصيرون كاملين" حسب الترجمة الانكليزية

وممارسة الطقوس الكنسية. بل قد يحاول أن يكون كاملاً. هنالك أشخاص كثيرون يحضرون الاجتماعات الروحية الانتعاشية محاولين أن ينعشوا حياتهم الروحية بمجهودهم الشخصى. لكننى أقول وأكرر أن مصيبة المسيحيين والعالم هى أن الذات هى كل شىء عندنا ولقد كانت علة سقوط الشيطان هى أنه جعل الذات هدفه الرئيسى. لو أنك أستطعت أن تزحزح السماء عن مركزها فى الله، وحاولت أن تركزها فى الذات، لتحولت السماء إلى جهنم. أنا لا أعرف إلا القليل، بل لا أعرف شيئاً، عن النار الأبدية، أو الظلمة الخارجية، أو الدود الذى لا يموت. لكننى أعلم أن جهنم هى محبة الذات، ومحبة الذات هى جهنم.

وفلسفة الكتاب المقدس:

هى أن تنبذ الذات، وتجعل المسيح الكل فى الكل

عندما أعالج سكيراً أميل إلى أن أقول له: كن رجلاً

يا لحماقتى. فإننى أحاول أن أخرج شر المسكر بشر تقدير الذات. إذا ما أردت أن أسعى لخلاص إنسان ما فيجب علىّ أن أخرج منه روح الذات، وآتى إليه بدلاً عنها بالرب يسوع المسيح. فهو الأول والآخر، هو الكل فى الكل.

لكن كيف السبيل إلى ذلك؟ إن خير معين لى هو رسالة غلاطية. يستعملها البعض كخير معين فى التبرير، وأنا أعتقد أنها تعين أيضاً على التقديس.

وكيف يكون ذلك؟ بالصليب، كما أعلن فى رسالة غلاطية. فالرسول يقول فى (غل ١ : ٤). "يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا". إنه ينظر إلى الصليب من وجهة نظره نحو التقديس. فهو يقول إن المسيح "أنقذنا من العالم الحاضر الشرير".

فى رسالة رومية نرى الصليب من وجهة نظرة نحو التبرير، نحو خلع الخطية. أما فى رسالة غلاطية فنراه من وجهة نظرة نحو التقديس، فالصليب يقف بينى وبين ماضىّ، بينى وبين العالم، بينى وبين ذاتى. هذه هى وجهة النظر فى رسالة غلاطية.

خذ مثلاً (غل ٢ : ٢٠) "مع المسيح صُلبت". اللّه يطلب من كل إنسان أن يتحد بالصليب، ويقتل حياة الذات، والأنانية، والعنصر الشخصى، الذى هو قوى فى كل واحد. لست أقصد شخصيتك. فاشعياء يظل إشعياء، وملاخى يظل ملاخى. لكننى أقصد أن ذاتك، أنانيتك، كبرياءك، جسدك ــ يجب أن تصلب. يجب أن تنكر ذاتك الساقطة. كانت تجربة الشيطان للمسيح هى أن يستخدم قواه الإلهية، أما تجربته لك فهى أن تستخدم قواك البشرية. هذه يجب أن تصلبها على الصليب، وتؤمن أنها من هذه اللحظة قد صلبت لك، وصلبت أنت لها. يجب أن يصلب باراباس. فانزل أيها المسيح عن الصليب واسكن فىّ.

وفى (غل ٥ : ٢٤) نقرأ هذه الكلمات" الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد". وفى (غل ٦ : ١٤) "حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع

المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم". العالم ينظر إلىّ كمجرم أثيم لكننى انتقمت منه. وهذا الانتقام هو أننى صُلبت للعالم، والعالم صُلب لى. قد يقول عنى ما يريد عنى ما يريد، أما أنا فقد انتقمت منه.

هذه الرسالة الرائعة تتحدث عن الصليب بينى وبين مصر، بينى وبين البرية، بينى وبين ماضىّ وبين تيهانى. والآن الصليب لى هو بمثابة نهر الأردن الذى به إجتاز الموت إلى الأرض التى يقودنى إليها يشوع، الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً.

هذه الرسالة أيضاً تتحدث عن الروح القدس، لأن الروح القدس ـ كما قلت سابقاً ـ هو الذى يعينك. أنت تختار الصليب لكن الروح القدس هو الذى يميت. ومن أجل هذا نقرأ فى)غل ٥ : ١٧) هذه الكلمات "الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ثم أيضاً "أسلكوا بالروح" (غل ٥ : ١٦). "انقادوا بالروح" (غل ٥ : ١٨). "عيشوا بالروح" (غل٥ : ٢٥)، وعندما تسلكون بالروح، وتنقادون بالروح، وتعيشون بالروح، فإن الروح القدس يستمر فى أن يشتهى ضد الجسد، ويجاهد فى داخلنا، ويعيننا أن نموت عن العالم.

لهذا ينبغى أن لا تضطرب من جهة الموت، بل فكر فى الحياة. لا تعش متطلعاً إلى جثة ميتة، بل عش متطلعاً إلى الروح القدس. وإذ تعتمد عليه فى كل حركة، إذ تستنشق الروح القدس فى كل لحظة، كما تستنشق الهواء، فإنه يخلصك من الجسد، ومن الذات، ومن العالم، ومن إبليس، ويأتى بك الحياة دون أن تشعر. وعلى قدر ما تعيش فى الحياة فإنك تعيش فى الموت،

لأنك إذ تمتلىء بالروح القدس فإن الروح القدس يعمق فيك حكم الموت، وتموت تلك الأشياء التى لم تكن لك فكرة عنها من قبل.

والآن أرجو أن تصغى إلىّ: إن كنت تختار الصليب، فإن الروح (أى الروح القدس) يشتهى ضد الجسد. وأرجو أن نلاحظ بأن الرسول عندما يقول "الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد"، فإنه يعنى الروح القدس وليس روح الإنسان. "الجسد أى الذات، يشتهى ضد الروح القدس، والروح القدس يشتهى ضد الجسد".

والآن لنتأمل فى خمس آيات فى رسالة غلاطية تتحدث عن الحياة الداخلية، أى عن سكن المسيح فينا:

(١) فى (غل ١: ١٥، ١٦) يقول "ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحماً ودماً". لقد "سر الله أن يعلن ابنه فىّ" وكلمة "يعلن" تعنى "يكشف" أو "يزيح الستار". هب أن هنالك تمثالاً مغطى بستار. فالتمثال موجود، لكنه مغطى. وإذا أزحت الستار أستطعت أن تراه.

عندما ولدت ثانية أتى إليك المسيح. فالولادة الثانية تعنى حلول المسيح فيك، وولادته فى داخلك. لكن قد يكون المسيح مغطى فيك. والآن لاحظ بأن المسيح عندما مات انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل. وعندما تدرك النفس أن موت المسيح يعنى موتها عن الخطية فإن الحجاب ينشق من فوق إلى أسفل، ثم يأتى الروح فيعلن يسوع بدلاً من حياة الذات.

"سر اللّه أن يعلن ابنه فىّ". آه يا إلهى، إننى أشكرك لأنك أعلنت ابنك، كالألف والياء، كمصدر وأصل حياتى. ليت هذا يكون من نصيبنا أجمعين.

كان أحد أصدقائى يقيم بجوار جبل "مونت بلانك"، وقضى هناك أسبوعين، لكنه بسبب السحاب الكثيف لم ير ذلك الجبل الذى يعتبر أعلى قمم جبال الألب وإذ مل الانتظار استعد للرحيل. وفى أحد الأيام كان يصعد سلم البيت الذى يقيم فيه فمر على نافذة ومنها رأى أن تلك القمة لا زالت يحجبها السحاب. وإذا كان ينزل السلم مر على النافذة أيضاً فرأى أن قمة الجبل قد زال عنها الضباب كلية، وأنها كلها معلنة أمامه ومكشوفة. هكذا الحال معك الآن، فإنه إذ تهب عليه نسمة الروح القدس، يزول عنك سوء فهمك لحياتك، ويعلن الله ابنه فيك كمركز حياتك.

تأمل لحظة واحدة فى (كو ١ : ٢٧) وهى آية محبوبة جداً "الذين أراد اللّه أن يعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر فى الأمم الذى هو المسيح فيكم رجاء المجد".

كانت سيدة تجلس وحيدة. فقد سافر ابنها عبر البحر منذ عشرين سنة. فبقيت أرملة، فقيرة، وحيدة. فجاء شخص غريب إليها وقال: أتسمحين لى بالمبيت فى الغرفة الخالية؟.

ـ لدىّ غرفة للإيجار، ولهذا تفضل.

فدخل متخفياً، ولذلك لم تستطع أن تعرفه: لقد كان فى البيت، لكنها

لم تعرفه. وفى أحد الأيام جلسا معاً لتناول الطعام فبدت منه حركة، وعندئذ صاحت قائلة:

جون

هذا هو مجد هذا السر عندما تعانق الاثنان

ـ أبنى

ـ أمى

وبعد تناول الطعام قال "يا أمى، إنك لن يعوزك شىء فيما بعد. فهاك ذهب وفير. وسوف أعيش معك، ولن أتركك مرة أخرى" هذا هو غنى مجد سر ابنها فى البيت.

تعال يا يسوع. لقد سبق أن إأتيت، لكنك مختف. على أننا قد أتينا إلى الصليب، وزال السر، وهنالك مجد النهار. لكن سوف يكون غنى مجد السر، المسيح فينا، وسوف يعمل لنا ما لم يكن ممكناً أن نعمله نحن لأنفسنا.

(٢) "فكانوا يمجدون الله فىّ" (غل ١ : ٢٤) جاء بعض الشبان يوماً ما لمرشدهم الروحى وقالوا له: لقد قضينا الليل كله مع اللّه فى الصلاة ألا تستطيع أن ترى وجوهنا تلمع؟.

فقال لهم: إن موسى لم يكن يعلم أن وجهه يلمع

عندما تكون لديك بضاعة حقيقية فإنك لا تحتاج للاعلان عنها، لان الناس يأتون اليك لطلبها. أما من كانت لديه بضاعة زائفة فإنه يغالى فى

مدحها. إن كان المسيح فيك فإن الناس لا يمجدونك بل يمجدون المسيح فيك، ويقولون لك:

علّمنا عن المسيح الذى جعل فيك هذا الجمال

"كانوا يمجدون الله فىّ". زميلى الخادم العزيز، عندما يكون المسيح فيك فإن الناس لا يمجدون عظاتك، ولا يمجدون مواهبك، ولا يمجدون فصاحتك. بل يمجدون الله الذى يلمع فيك.

(٣) "فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل (١) فىّ أيضاً للأمم". قال لى هدسون تيلور إنه إذ كان على عتبة خدمته العظيمة أتاه الله وقال له:

يا بنى، أننى سوف أبشر الصين، فإن أردت أن تسير معى أتممت هذه الكرازة عن طريقك.

"عمل بقوة فىّ". لا أستطيع قيادة هؤلاء الشبان فى دراسة الكتاب المقدس، لكن المسيح فى، وهو يستطيع. لا أستطيع الكرازة فى ذلك المكان، لكن المسيح فىّ، وهو يستطيع. لا استطيع القيام بتلك المسئوليات العظيمة، لكن شكراً لله فإن المسيح فىّ؛ وهو يستطيع. إن سلك التلغراف يحمل فقط الرسائل البرقية، أما البطارية فهى التى ترسلها، وأنت يمكنك أن تكون مثل هذا السلك لتحمل الأنباء إلى الآخرين. عندما لا تكون الذات عائشة فيك، بل المسيح، عندئذ يعمل فيك المسيح بقوة.

(٤) "المسيح يحيا فىّ" (غل ٢ : ٢٠). كنت مسافراً فى أحد الايام، وفى القطار جلس أمامى شاب كان يقرأ كتاب "الاقتداء بالمسيح" لتوما الكمبيسى. فعرفت الكتاب، وجلست بجانبه وقلت:

---

(١) "عمل بقوة" حسب الترجمة الانجليزية

ـ إنه لكتاب عظيم

ـ نعم

ـ إننا عندما نحاول الاقتداء بالمسيح فإنه يعمل فينا بقوة لكى يجعل حياتنا جميلة كحياته الجميلة. المسيح يحيا فىّ.

كثيرون لا يعرفون معنى الديانة. إن كلمة "الديانة" فى نصها اللاتينى تعنى "أنا أربط". فالديانة هى ربط القلب بالرب. بل هى أفضل "مَن التصق بالرب فهو روح واحد" (١ كو ٦ : ١٧). أيها المسيح إلهى، أنت واحد معى لكى تجعلنى واحداً معك إلى الأبد.

(٥) خذوا آية أخرى (غل ٤ : ١٩) "يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم". أنتم تعلمون طبعاً أن فى البيضة جرثومة الحياة، وفيها أيضاً الغذاء والسائل اللزج الذين تنمو بهما هذه الجرثومة. وفى كل يوم تنمو هذه الجرثومة إلى أن يتكون الكتكوت داخل القشرة.

كانت هنالك فى حياتك عناصر أخرى غير المسيح قبل الآن. أما الآن فإنك يمكنك أن تنمو، "إلى أن يتصور المسيح فيك".

سامحونى أيها الزملاء الخدام إن كنت قد عجزت عن توضيح حقائق الإنجيل التوضيح الكافى. فكيف تستطيع الكلمات البشرية أن توضح ما يستطيع المسيح عمله؟ لكننى أتوسل إليكم أن تغضوا الطرف عن الكثير من العالميات، حتى عن الحياة الاجتماعية المحيطة بكم. وأوصيكم بأن تكرزوا بفلسفة المسيحية العميقة المتعلقة بحلول المسيح فى داخلنا. دعوا الناس يدركون ماذا قصد المسيح عندما قال "فى ذلك اليوم تعلمون إنى أنا فى أبى وأنتم فىّ وأنا فيكم" (يو ١٤ : ٢٠).

العظة الخامسة

المسيح يسد أعوازنا

كنا نتحدث عن الإرادة، ورأينا أن علتنا هى حياة الذات. وتعلمنا أيضاً أن يسوع المسيح يستطيع أن يحل محل الذات. وأريد أن أبين لكم الآن ماذا يمكن أن يعمله يسوع المسيح. واتوسل إلى الله الروح القدس أن يمجد المسيح.

(١ كو ١٠ : ١١) "فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لانذارنا نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور".

لقد كنا قبلاً فى مصر. وكل مَن افتدى بدم المسيح كان قبلاً فى مصر. إن مصر تمثل ثلاثة أشياء (١) الشهوات الجسدية: الكرات، والثوم، والبصل (٢) العبودية: رئيس التسخير، واللّبن، ومدينة المخازن (٣) ضيقة النفس.

أعتقد أنه لا يوجد شخص فى المسيح الان لا يتذكر الشهوات الجسدية، والعبودية، وضيقة النفس. لقد أخرجنا اللّه منها. لقد أخرجنا منها عندما مات المسيح من أجلنا وقام من بين الأموات. لقد أخرجنا منها عندما احتمى كل واحد منا تحت دم خروف الفصح، وتكلم الدم إلى للّه من أجلنا. يالها من لحظة مباركة عندما دخلنا فى السلام، عندما رششنا الدم على قائمتى الباب والعتبة العليا. فافتدينا عندما رأى الله الدم "وبفرح خرجنا من أرض العبودية. وإذ وضعنا أقدامنا على الشاطىء الآخر للبحر الأحمر رددنا أغنية مريم، وفرحنا بالله مخلصنا. وسلمنا أنفسنا لإرشاد السحابة،

واستظلينا تحتها نهاراً وليلاً. واعتمدنا على الله من أجل كل شيء، من أجـل الميـاه التي تفجرت من الصخرة. ومن أجل المن السـاقط في البرية. يالسعادة تلك الأيام عندما سرنا مع الله في ساعات تجديدنا الأولى شاعرين بالحرية.

عندئذ أتينا تحت جبل سينا. فأخذنا فكرة جديدة عن قداسة الله وبره. وإذ أتينا هناك في بداية الأمر قلنا بعزم أكيد "كل ما تكلم به الرب نفعل" (خر ١٩ : ٨). لكن فرحنا بدأ يزول، لأننا إذ حاولنا أن نحفظ ناموس الله بدأنا نسقط ساعة فساعة في الخطية التي كنا نكرهها. هذا هو الاختبار الوارد في الأصحاح الثالث من رسالة رومية. لقد أحببنا ناموس الله بحسب الإنسان الباطن، لكن عندما حاولنا أن نفعل ما نريد وجدنا أننا لا نقدر. لقد كنا نشبه أشخاصاً شفوا من المرض، فهم يعرفون جيداً كيف يمشون باستقامة، لكنهم عندما يبدأون بأن يمشوا فإنهم يتمايلون، وللحال يسقطون على الأرض.

وبعد أن مكثنا هناك سمعنا وصية الله بأن نقوم ونرتحل. وبعد بضعة أيام أتينا إلى قادش برنيع. وقادش هذه تقع على حدود أرض كنعان. وعند قادش تنتهي الصحراء القاحلة وتبدأ الأراضي الخضراء. عند قادش تطلعتم إلى الوراء إلى مصر، وإلى الأمام إلى فلسطين. وإلى قادش عاد الجواسيس حاملين في أيديهم سلالا مملوءة فاكهة جمعوها من أرض الموعد، عنباً ورماناً وتيناً. وفي قادش وزعتم هذه الفاكهة بعضكم على بعض، فأكلتم وقلتم: إنها أرض جيدة.

كثيرون منكم ذهبوا إلى قادش. لقد أقمتم بها، لقد ذهبتم إلى أماكن استمتعتم فيها بحياة روحية سامية. والذين كانوا فى أرض الموعد عادوا وقدموا إليكم ـ فى عظاتهم وكتبهم ـ سلالا من الفاكهة فقلتم: إنها جيدة جداً.

لكنكم بقيتم هناك، وبدلاً من أن تعبروا الحدود وتعيشوا فى أرض الموعد عدتم إلى البرية.

ولماذا وقف إسرائيل هناك؟ لأنهم لم يؤمنوا بالله. لقد آمنوا بأن الله يستطيع أن يخرجهم من مصر، لكنهم لم يؤمنوا بأنه يستطيع أن يدخلهم أرض كنعان. لقد آمنوا بإله الماضى، لكنهم لم يؤمنوا بإله الحاضر. لقد كان لهم "قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن اللّه الحى" (عب ٣: ١٢).

أنت تؤمن بالجلجثة، لكنك لا تؤمن بالصعود. أنت تؤمن بالمسيح الذى مات، لكنك لا تؤمن بالمسيح الذى قام، المسيح الحى. أنت تؤمن بأنك قد تجددت فى الماضى، لكنك ليست لديك فكرة بأن من جددك مستعد فى كل ساعة أن يأتى بك إلى أرض الراحة ويحفظك فيها.

تمثل البرية ثلاثة أشياء:

(أولاً) عدم الاستقرار وعدم الراحة. كان هنالك شعب مفدى، لكنه كان غير مستقر وعديم الراحة. هنالك أصحاح فى سفر العدد ذكر فيه ثلاثاً وثلاثين مرة أن الشعب انتقلوا. هكذا كانت حياتك مدة بضع سنوات، تذهب هنا وهنالك، تجرب هذه الكنيسة وتلك، هذا الخادم وذاك. لكنك فى كل ذلك الوقت كنت متأكداً بأنك لم تحصل على راحة الله.

(ثانياً) وتمثل عدم القناعة. فقد عاشوا حياة التذمر. ويا لتذمرات حياتك. لقد حصلت على ثروة، وأنت تتمتع ببركات جزيلة، لكنك دواماً تطلب المزيد، وهنالك دواماً أشياء تطلب تغييرها، ولست تقنع بما أنت فيه. إن جاء الصيف قلت إن الجو حار. وإن جاء الشتاء قلت إن الجو بارد. إن كنت تتمتع بمحبة أصدقائك تطلبت الثروة. وإن كنت تتمتع بالثروة تطلبت محبة اصدقائك. وهكذا تعيش فى حياة التذمر المستمر وعدم الرضا. هذه هى حياتك كمسيحى.

(ثالثاً) وتمثل الحنين إلى الماضى. لقد خرج الشعب من مصر لكنهم كانوا دائمى التفكير فيها. إن حياتك سلبية. لقد خرجت من مصر، لكنك تقترب من مصر على قدر ما تستطيع، فتتطلع إلى ملذات مصر، وإلى أعمال مصر، وإلى شهوات وخطايا مصر. ومع أنك خرجت منها فقلبك يتعطش اليها. أنت مسيحى لكن الشخص العالمى أكثر راحة منك. لأن الشخص العالمى ليست لديه فكرة عما حصلت أنت عليه. هو راض بحالته. أما أنت فإنك دائم القلق.

ثم ماذا؟ لقد أتيت إلى نهر الأردن. قال أحدهم إن الأردن يرمز إلى الموت، أى موت الجسد. لكن هذه فكرة خاطئة. فالأردن يرمز حقاً إلى الموت، لكن ليس موت الجسد بل الموت عن حياة الذات. لقد أوضحت بأننى لا أعتقد أن الذات تموت أبداً. لا أعتقد باستئصال الذات، لكننى أؤمن بأننا نأتى إلى الصليب، إلى الأردن، وأننا نضع الصليب، أى موت المسيح، بيننا وبين حياتنا الماضية. أننا نعبر الأردن فى اختباراتنا عندما نتحد بموت المسيح، ونشترك معه فى شبه موته. بعد ذلك نقف فى أرض كنعان.

لما كنتم فى قادش تطلعتم من بعيد إلى أرض كنعان. أما الآن فأنكم

فيها. عندما استيقظتم ظننتم بأنكم ستشعرون بالفرح، لكنكم وجدتم أن الأمر ليس كذلك. إن كنت لا تشعر بشيء من الفرح فلا تقلق. قد يجتاز المرء خط الاستواء وهو لا يدرى، فإنه مرسوم على الخريطة فقط وليس على مياه المحيط. هكذا ينبغى أن تعتبر نفسك ـ واثقاً فى أن الروح القدس يحقق رجاءك ـ إنك قد عبرت الأردن، حتى وإن كنت لا تحس بشيء من الفرح، وتعتبر نفسك أنك فى أرض الموعد.

وما هى هذه الأرض؟

هى المسيح. كنعان هى المسيح. هو أرض الموعد. وتلك الجبال هى جبال قوته. وتلك الأودية هى اتضاعه. وتلك الينابيع هى فرحة. وتلك الأنهار هى روحه القدوس. وتلك الكنوز هى ثروته. تطلع إلى تلك الأرض. إنها كلها ملك لك. هى المسيح فيك، وأنت فى المسيح. هذه هى الفردوس.

هذا ما يبرهنه ما ورد فى (عب ٣ : ١٤) "لأننا قد صرنا شركاء المسيح". إن الاصحاح الثالث من رسالة العبرانيين هو اختبارات البرية. أما الاصحاح الرابع فهو امتلاك المسيح. ويقول الرسول إننا نحن المؤمنين نصير شركاء المسيح. أود أن أحدثكم عن: المسيح فينا، المسيح يحيط بنا، المسيح فى المجد.

وأول ما يجب أن نفعله هو أن نعرف أرض الموعد. اذكر أننى عندما كنت فى شيكاغو أخبرنى أحدهم أن أية أسرة يمكنها أن تشترى، بل أن تحصل من الحكومة الزمريكية على مزرعة فى أقصى الغرب. ومن أجل هذا يستطيع الأب مع زوجته وأولاده أن يحزموا أمتعتهم ويرحلوا إلى أقصى الغرب. فتجلس الأسرة على حدود ميراثهم، أما الأب فإنه يذهب هنا وهنالك فيها ويعاينها. وإذ يترك زوجته وأولاده فإنه يصعد الجبال، ويتطلع إلى هذا الطريق وذاك، وينزل إلى النهر، ثم يصعد الجبل ثانية. فكل هذه

البقاع قد أصبحت ملكاً له. وعندئذ يقول لنفسه: إنها أرض جيدة. ثم يعود إلى بيته ويقول لزوجته: لقد حصلنا على ميراث طيب يا زوجتى العزيزة.

هذا أول ما يفعله

وبعد ذلك يضع سياجاً حول قطعة صغيرة من الأرض ثم يزرعها. وبعد سنة يزيد رقعة الأرض المزروعة. ثم يزيدها سنة بعد أخرى حتى يتمم زراعتها كلها بعد نحو عشرين سنة.

والآن، تعال معى. تعال واصعد هذا الجبل، جبل تعليم الروح القدس ثم (١) انظر أى مسيح قد نلناه. تعال نضع سياجاً حول قطعة صغيرة منه (٢) وبعد ذلك نزيد رقعة الأرض يوماً بعد يوم، وأسبوع بعد أسبوع وسنة بعد سنة. ومهما امتلأت منه فإنك لابد أن تشعر بأنك لم تصل بعد إلى حد الكمال الذى لن تصل اليه إلا فى الأبدية.

والآن انظر مَن هو المسيح. تأمل فى (١كو ٢: ١٢) "لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله".

قيل عن أحدهم إنه إذ أراد أن يعلم أولاده الشرف والحق والأمانة وضع على رف الملابس فى الغرفة الرئيسية فى البيت مبلغاً محترماً يكفى لكل حاجيات الأسرة. فإذا ما احتاجت الزوجة إلى أى مبلغ ذهبت إلى الرف، وإن احتاج الأولاد أو البنات ذهبوا اليه أيضاً. ومهما احتاجت الأسرة إلى أى مبلغ وجدت كفايتها. هكذا وضع الله فى يسوع كل ما تحتاجه، وهو يقول: اذهب خذ ما تزيد، كل شيء لك.

إن كنت حزيناً وجدت الفرح فى المسيح. إن كنت مجرباً وجدت فى المسيح كل معونة. إن كانت قواك قد وهنت وجدت فى المسيح كل قوة. إننى أقول هذا لأنك قد تتوهم أن الله يعطى هذه البركة أو تلك بعيداً من

المسيح، وأحب إن تدرك أن الله يباركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح، إن كل ما تحتاجه متوفر فى المسيح. وإنه لجميل أن نكون فى حاجة لأى شيء لكى ندرك مقدار ما هو متوفر فى المسيح.

أتذكر بأننى لما كنت ولداً صغيراً كانت عناية أمى بى تزداد عندما يحل بى أى نوع من الفشل، أو الضعف، أو المرض. ولذلك كنت أتظاهر بعض الأحيان بالضعف لكى تزداد عنايتها بى.

ولهذا فإنك عندما تكون ضعيفاً، أو مجهداً، أو قليل الإيمان، أو عندما تكون قواك قد وهنت، وكل ما يحيط بك يفت فى عضدك ـ عندئذ يأتيك الله ويقول يا بنى، إن كل ماتحتاجه روحك تجده فى المسيح. وحتى إن صرفت فى السجن عشر سنوات وجدت فى المسيح الأصدقاء، والتعزية، والقوة، وكل ما تحتاج.

ليت كل إنسان يدرك أن كل ما تحتاجه النفس متوفر فى المسيح، وأنه إن لجأ إلى المسرات العالمية لطب السلام والفرح فإنما هو فاشل. ليتنى أستطيع أن أبين لكل إنسان بأن فى يسوع جبالاً وبحيرات وأنهاراً وينابيع وكنوزاً وحقول حنطة وأشجار زيتون وكل ما تحتاجه النفس لكى تكون مباركة. ياروح الله خذ من كنوز المسيح وأعلنها لكل نفس منتظرة.

والآن أريدكم أن تروا كيف تأخذون منه كل شيء، لأن يوحنا يقول "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا" (يو ١ : ١٦). وبولس الرسول يقول "إن الذين ينالون فيض النعمة يملكون" (رو ٥ : ١٧).

ينالون. أتريد أن تعرف كيف نتال؟ قد تقول: لعلك تقصد أننى يجب أن أصلى.

كلا، لا أقصد هذا. فقد كنت تصلى منذ وقت طويل. إننى أقصد بأنك

يجب أن تأخذ. هناك فرق شاسع بين الصلاة للمسيح وقبول المسيح. سأوضح لك هذا. منذ بضع سنوات كنت مع أحد الأصدقاء في بداية تجديدى فقال لى: "لنجلس معاً ونتبادل اختباراتنا".

فبدأ أحد الجالسين يقدم اختباراته. ثم تبعته أنا. فوقف خادم متقدم فى الأيام وقال:

يدهشنى أن مستر ماير ليس لديه شىء أفضل من هذا ليقوله: فإن من يسمعه يعتقد أننا ليس علينا إلا أن نترك هذه الخطية أو تلك. مع أن مسيحيتنا تعنى أن نتقبل أولاً، ثم ننبذ بعد ذلك.

عندما تحصل على الذهب الخام فإنك تتخلص من الأوساخ العالقة به. وعندما تحصل على الماس الحقيقى فإنك تتخلص أيضاً من كل ما لصق به من أدران. وهكذا الحال فإنك إن قبلت المسيح لا يعود العالم يغريك. إن حصلت على ضوء الشمس لا تعود تحتاج إلى النور الكهربائى. وإن حصلت على نور النهار لا تحتاج إلى أى نور صناعى.

ثم أكمل صديقنا حديثه وقال "كنت قبلاً منغلباً أمام حدة الطبع. وجاهدت كثيراً ضدها. وفى أحد الأيام إذ رفض الأولاد الأصغاء إلى تعليمى كدت أنفجر من الغيظ. لكننى التفت إلى المسيح وقلت له: أيها الرب يسوع المسيح كن لى طبعا هادئاً".

وهكذا نجد أنه بدلاً من أن يجاهد ضد حدة الطبع قد قبل المسيح ليكون له صبراً، ولطفا، ووداعة، وكبحاً لجماح النفس. وفى لحظة أدركت أن هذا اختباراً أفضل. وفى الصباح التالى عندما التقيت بصديقى قال لى "مارأيك فيما قيل بالأمس.

فأجبت "أعتقد بأنه أختبار سيبقى معى إلى نهاية الحياة" فقال "ومعى أنا أيضاً".

منذ تلك اللحظة اجتهدت أن أسلك هذا السبيل. وكنت كلما أحتجت إلى أى شيء أقول "أيها الرب يسوع المسيح كن أنت لى هذا الشيء". هذه ثمار طيبة لأرض الموعد.

هل تقبل هذا؟ يسوع يحبك. يسوع قريب منك دواماً. إننى لا أتحدث عن الصليب بقدر ما أتحدث عن يسوع المصلوب. ولا أتحدث عن القبر بقدر ما أتحدث عن يسوع الذى قام ولا أتحدث عن الصعود بقدر ما أتحدث عن يسوع الذى صعد. هو معك ومعى دواماً. ينبغى أن لا نتحدث عن القداسة بقدر ما نتحدث عن يسوع القدوس. وينبغى أن لا نتحدث عن الوداعة بقدر ما نتحدث عن يسوع الوديع. وينبغى أن لا نتحدث عن الطهارة بقدر ما نتحدث عن يسوع الطاهر. يسوع، يسوع، يسوع، أولاً وأخيراً.

لقد كنت مضطرباً من جهة إيمانك. كف عن هذا الأضطراب لا تفكر فى إيمانك، بل فكر فى يسوع، وعندئذ تنال الإيمان دون أن تدرى.

لقد كنت مضطرباً من جهة إحساسك. فلا تبال. فإن الشعور والاحساسات ترتفع وتنخفض كالبارومتر. كف عن هذا، وعش فى محضر يسوع.

أيها النفس، إنك تعيشين أمام يسوع وجهاً لوجه. سلمى ذاتك له بالتمام، وعندئذ يعطيك ذاته بالتمام. إن حلت بك الفاقة أو الأحزان فإنه يكون معك. الينبوع بجوارك. أنت لا تحتاج إلى أخذ جرتك لتستقى من بئر خارجية. فإن يسوع فى قلبك وعو ينبوع ينبع إلى حياة أبدية.

أيتها النفس، التى إذ اجتزت الأردن أتيت إلى الأرض الطيبة، أرض الراحة، ما أغناك.

العظة السادسة

الخلاص من سلطة الخطية

"تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فى ٢ : ١٢ و ١٣).

"الخلاص". "تمموا خلاصكم". يمكن القول إن الخلاص قد تم ويمكن القول أيضاً إن عملية الاتمام جارية. لقد تم عندما مات المسيح، ومع ذلك فانه جار اتمامه بالروح القدس فى قلوبنا

الخلاص جعالة عظمى، لها نهايتان. النهاية الأولى على الصليب حيث خلصنا الرب يسوع المسيح من اثم الخطية ومن قصاص الخطية. والنهاية الثانية هى فى مجيئه الثانى عندما يقوم الجسد ويتحد ثانية بالروح، وعندئذ يكمل الخلاص. لكن بين الصليب حيث قضى يسوع على إثم الخطية، وبين المجئ الثانى حيث يتحد الجسد بالروح ـ بين هاتين النهايتين تتم عملية الخلاص من سلطة الخطية ومن محبة الخطية.

فى (أع ٢ : ٤٧، ١كو ١ : ١٨) يتحدث الوحى عن أناس يخلصون أى جار خلاصهم "وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون". "فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله".

قد يسألنى شخص : هل أنت مخلص؟

فأجيبه: لقد خلصت عندما مات المسيح عنى، وسأخلص عندما يقوم جسدى، لكننى فى كل الوقت أتمم الخلاص. آه، هل أنت تتمم خلاصك؟

أذكر أن الخطية كالجرثومة الطفيلية. قد يصاب طفلك بالحصبة أو بأى نوع من الأمراض المعدية. لكن هذه الأمراض ليست من طبيعته، إنها جراثيم طفيلية. وفى بضعة أيام تزول هذه الجراثيم ويعود الطفل صحيحاً معافى. هكذا الخطية، فإنها ليست ضرورية للطبيعة البشرية. فقد خلق آدم بدونها. ونحن البشر سوف نتخلص يوماً ما من التهابات الغدة النكفية، والحصبة والنزلات الشعبية، ونصبح أصحاء.

الخطية جرثومة طفيلية. فشكراً لله إذ سوف يأتى اليوم الذى فيه أقف أمام إلهى دون أى أثر للخطية. قد أحمل آثاراً تركتها فىّ الخطية، ولكن الخطية نفسها تكون قد ولت وعبرت.

ثانيا الله يدخل قلبك لكى يجاهد معك ضد جرثومة الخطية الطفيلية

روت لى سيدة فاضلة أن ابنها جاءها يوماً ما من المدرسة مصاباً بحمى قرمزية. لقد أتاها فى سيارة ملفوفاً بالبطاطين. وإذ دخل البيت استقبلته قائلة:

يابنى، لقد أعدت أمك غرفة فى الدور العلوى لك ولها. وسوف تجلس أمك بجوار سريرك، ولا تتركك إلا بعد أن تشفى، وسوف تساعدك فى الكفاح ضد الحمى.

وهكذا حبست نفسها معه فى غرفة نومه. هل تظن أن محبتها له نقصت لأنه قضى وقتاً طويلا فى عملية الشفاء؟

فى إحدى المرات قال لها الولد:

يا أمى: إنك لم تقبّلينى أخيراً. هل نقصت محبتك لى لأن الحمى تركت فىّ هذه الآثار؟

فقبلته وقالت: لقد كنت أحبك من قبل، وأعتقد أن محبتى لك الآن قد ازدادت.

أيها العزيز، يامن تشقى بالخطية التى قبلتها فى قلبك، إن الله يكره الخطية، لكنه يحبك. لقد عرف كل شئ عنها قبل أن يختارك. ولذلك فإنه سوف لا يدهش، وسوف لا تثبط عزيمته، وسوف لا تقل محبته لك. لكن كلما ازدادت خطاياك، وكلما ازددت ضعفاً، وكلما كثر عدد مرات رجوعك إلى الخطية، وكلما كثرت سقطاتك، ازداد جهاد الله فى قلبك ضد الخطية خطوة فخطوة. فإنه على قدر ما يكون ضعفك تزداد محبته لك.

أيها العزيز!

إنه يجلس بجانبك عندما تكون مصاباً بالحمى. هو يعلم أنها تحتاج إلى سهر طويل، وعناية وفيرة، وصبر طويل. إنه يدرك مقدار ما تحتاج إليه من عناية، وهو مستعد للعناية بك مهما طالت مدة المرض. هو ممسك بيدك، وهو يعرف شهواتك الجامحة، ونجاستك، وكلامك الكثير، وعنادك، وغيرتك من الناس، وميلك إلى المجد الباطل، ومحبتك للمال، ومحبتك للخطية. لكنه لن يتركك لحظة واحدة. إن سمحت له خلصك منها كلها فى أقصر وقت. وإن قاومته جعلت المهمة أشق. لكنه لن يتركك، ولن ييأس منك. ومهما تعدد سقوطك إرجع إليه فى كل مرة تسقط.

هب أن أماً أطيب ابنها بحمى قرمزية، وأصبح "يخطرف" بسبب ارتفاع الحرارة، فصار يترك سريره. هذا الابن يصبح علاجه شاقاً، ويستغرق وقتاً أطول. لكن الأم تظل مرافقة له. إنها تتألم، وتثبط عزيمتها، وتتمنى لو لم يتصرف هكذا. لكنها تظل تحبه، ولا يمكن أن تتخلى عنه، بل تستمر فى خدمته.

أيها العزيز هل أسأت التفكير فى الله؟ هل ظننت بأن الله ملّ منك لأن سقطاتك تكررت؟ آه، إنك لا تدرى بأن مراحمه لا نهائية، وأنه لا يمكن مطلقاً أن يتخلى عنك، إلى أن يقبل وجنتيك فى السماء، إذ تكون آثار الحمى، أى آثار الخطية، قد فارقتهما إلى الأبد. آه يا إلهى، إنك سوف تقبل نفسى فتصبح فى صحة كاملة.

واذكر أيضاً أن قصده هو أن يخلص من سلطة الخطية. لقد خلص من اثم الخطية، لكن لا نزال سلطتها باقية، وهو يقدر أن يخلص منها. لكن بالتدريج. أرجو أن تصغى جيداً إلىّ. يسأل الكثيرون عما إذا كنت أعتقد فى اتمام التقديس تدريجيا أو دفعة واحدة. فأجيب بأننى لا أعتقد فى التقديس بل فى المقدس (بكسر الدال)، ولا أعتقد فى القداسة بل فى القدوس. فنحن ينبغى أن لا نفكر فى التقديس بقدر ما تفكر فى مَن يقدس. ينبغى أن لا نفكر فى التقديس بل فى قبول المسيح فى القلب.

إن التقديس يتم فى لحظة بهذا المعنى: إننى فى لحظة أتخذ موقفى الصحيح نحو المسيح. لكنه يتم بالتدريج لأن المسيح يتمم عمله فى داخلى تدريجياً، فيفطمنى عن الخطية، ويخلصنى من محبتها ومن سلطانها، ويزيد هذا الخلاص تعمقاً فى قلبى يوماً فيوماً. إننى أتخذ موقفى نحو المسيح فى لحظة، لكننى أتمسك بهذا الموقف كل أيام حياتى.

أليس هذا صحيحا؟ فإن ما تراه اليوم خطأ كنت لا ترى فيه شيئاً من الخطأ من قبل. وما تحسبه اليوم مباحاً سوف تحسبه فيما بعد خطأ ومن هذا يتضح أن عمل الخلاص يتم بالتدريج. وعندما يسطع الرب بنوره على حياتنا، فإن النور يأتينا أولا غبشاً مثل نور السحر. وفى نور السحر أستطيع أن أرى كرسياً أو طاولة أو الدولاب. هذا كل ما أستطيع أن أراه بعد ذلك يأتى

الصباح، وفى نور الصباح أستطيع أن أرى أشياء أصغر، كالصور المعلقة على الحائط أو أدوات الزينة. بعد ذلك يأتى الظهر، وعندئذ أستطيع أن أرى ذرات التراب. وهذه كنت لا أستطيع أن أراها فى نور السحر، لكننى أراها وقت الظهر.

هكذا يتصرف الله معك ومعى. فانه لا يقلب أوضاع القلب رأساً على عقب دفعة واحدة، ولا يخليه من كل خطية فى لحظة. أولاً يأتى نور السحر، وعندئذ نطرح عنا الخطايا الظاهرة. ثم يأتى الصباح، وعندئذ نطرح الخطايا الأخرى التى كانت لا ترى من قبل. وفى الساعة الحادية عشر صباحاً نطرح عنا الخطايا الأعمق التى كنا قد تغافلناها وعندما يأتى الظهر، فى وقت النور الكامل نطرح عنا خطايا أخرى، ذرات التراب التى كنا لا نراها تتعمق نظرتنا أكثر فأكثر، وفى كل سنة يخلص المرء أكثر فأكثر من سلطان الخطية المعروفة. وهكذا نرى أن الخلاص يتم تدريجياً.

أعتقد أنه من السخافة أن يقول المرء إنه قد تقدس قداسة كاملة. فالمسافة طويلة علينا للوصول إليها. فى إحدى زياراتى الرعوية دخلت بيت امرأة غسالة. وإذ رأيت الملابس التى غسلتها ناصعة البياض هنأتها. ولما سرت بتشجيع راعيها لها طلبت منى البقاء قليلا حتى تقدم لى فنجاناً من الشاى. وبينما كنا نتناول الشاى اكفهر الجو ثم هبت عاصفة ثلجية. وإذ خرجت ورأيت الثلج متناثراً فى كل مكان قلت لها: إن الملابس لا تبدو ناصعة البياض كما كانت تبدو من قبل.

فأجابت. إن الملابس قد غسلت جيداً لكن هل يمكن أن يوجد ما يضارع بياض الطبيعة التى خلقها الله؟

هكذا قد تظن أنك نقى لأنك لم تر الله قط. لكنك عندما ترى الله فإن أقدس يوم فى حياتك يبدو ناقصاً، ثم تكره نفسك وتندم فى التراب والرماد(١)، وتقول "اغفر لى ذنوبى كما أغفر أنا أيضاً للمذنبين إلىّ".

الخلاص من الخطية المعروفة، لكن ليس من التجربة:

ومع ذلك فان الله يمكن أن يخلصنا من الخطية المعروفة على قدر ما يكون لدينا من نور، وأكررها ثانية: على قدر ما يكون لدينا من نور، نور السحر، نور الصباح، نور الظهر. الله قادر أن يحفظنا من الخطية المعروفة على قدر ما يكون لدينا من نور. لكنه لا يمنع عنا التجربة. لا يمكنك أن تمنع الشيطان من أن يقرع على باب قلبك، لكنك تستطيع أن تمنعه من الدخول. لا يمكنك أن تمنع الطيور الجارحة من أن تحلق فوق رأسك، لكنك تستطيع أن تمنعها من أن تعشش فى شعر رأسك.

على قدر ما تقترب من الله تزداد تجارب الشيطان لك. يتوهم بعض الناس بأنهم ليسوا أطهاراً طالما كانوا مجربين. وإننى أعتقد بأنه لا يمكن أن يكون الإنسان طاهراً إلا إذا جُرب. عندما كنت تلميذاً كان الأولاد يتجنبون بعض البساتين لأن التفاح فيها كان رديئاً. فاذا ما رأيت تلك البساتين أدركت في الحال أن تفاحها ردئ، وإلا لكان الأولاد يهرعون إليها. فان كنت لا تجرب دل هذا على أن قلبك خال وشرير، وليس جديراً بأن يصرف الشيطان معه أى مجهود أو أى وقت، عندما نزل روح الله على المسيح اقتيد بالروح إلى البرية ليجرب من إبليس، وكان هذا يشير إلى أن الامتلاء بالروح

---

(١) "لذلك أرفض واندم فى التراب والرماد" (أى ٤٢ : ٦)، أو "لذلك أبغض نفسى وأندم فى التراب والرماد" حسب الترجمة الإنكليزية.

القدس يعنى التعرض لهجمات إبليس.

قد تسأل : لماذا يسمح لنا الله بأن نجرب؟ وأعتقد أن ذلك لكى يبين لنا موضع الضعف، حتى إذا ما اعتلينا التجربة ـ كحجر للصعود ـ استطعنا أن نصل إلى بعض المعونة من الله. إن كان الشيطان لا يجربنى بصفة مستمرة فاننى لن أعرف مقدار احتياجى للمسيح.

الله يعمل فيك. فإن وخزات الضمير التى تحس بها عندما تخطئ، والحنين الذى تحس به نحو حياة أفضل، ورغبتك فى الذهاب إلى الاجتماعات الدينية ـ هذه كلها أدلة على أن الله يعمل فيك ليخلصك. كثيرات من سيدات المجتمع قد تسفلن إلى أقصى درجات الفساد، ومع ذلك تراهن غير راضيات عن حالتهن. أيتها الأخت العزيزة، لا تيأسى، فعدم الرضا هذا هو عمل الله فى داخلك. إننى أعتقد بأنك ابنة له بالحق، لكنك ضعيفة، ولا تريدين أن تقفى وحدك، وأنت تفعلين ما تفعله سائر السيدات، لكنك تكرهين كل الوقت ما تفعلين، وتتوقين إلى حياة أفضل. يجب أن تعلمى بأن الله يعمل فيك. وأنت عمل الله.

ينبغى أن نتمم ما يعمله الله فى الداخل:

والآن آتى إلى النقطة الثانية. عندما يعمل الله فى الداخل ينبغى أن تعمل أنت فى الخارج "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم".

ينبغى أن تتمم ما يعمله الله فى داخلك، وينبغى أن تتمم هذا بخوف ورعدة. واسمح لى بتفسير هذا:

هب أن فناناً عظيماً يمرن تلميذاً صغيراً. إنه يقول لهذا التلميذ سآتى

إلى غرفة التصوير غداً لتمرينك من الساعة التاسعة صباحا إلى الظهر.

إنه لأمر رائع أن يقضى هذا الفنان العظيم ثلاث ساعات مع هذا التلميذ الخامل الذكر. هذا التلميذ يخاف. إنه لا يخاف المدرس لكنه يخاف لئلا يضيع دقيقة من وقت المدرس الثمين دون أن ينتفع بمعرفته. وهو يرتعد، لا لأنه يفزع من المدرس، بل لأنه يخشى لئلا يفشل فى الانتفاع بكل إشارة، وكل توجيه، وكل لمسة. آه، إنه يرتعد لئلا يضيع أى شئ. أيها العزيز، أرجو أن تصغى إلىّ بانتباه. إن الله العظيم الأبدى قد أتى إلى حياتك ليعيش هناك، وهو يقول لك:

سوف أخلصك من سلطة الخطية.

ينبغى أن تكون فى شدة الحرص. عندما يتكلم الله ينبغى أن تستطيع. إذا ما أعطى الله أية إشارة فتممها فى الحال. خف جداً لئلا تقول كلمة أو تتصرف تصرفاً يتلف ويعطل كلمة الله وعمل الله فى حياتك. تمم بخوف ورعدة.

الله يعمل فيك لكى تريد، وعندئذ يعمل فيك لكى تعمل أنت ما يريده هو. إنه لا يعمل لكى يجعلك تشعر، لأن الشعور كثيراً ما يتبخر. ولا يعمل لكى يجعلك تفكر، فإنك كثيراً ما تفكر ثم تعيد التفكير. لكنه يعمل فيك أن تريد. أى أنه تقوم فى قلبك رغبة، تصير أخيراً عزما على التحرر. فالإرادة تقوم فى قلبك دون أن تدرى، ودون أن تحس.

عندما يعمل الله فانه يهدف دائماً إلى هدف معين واحد. إن إبليس يربكنا بأن يضع أمامنا أهدافاً متعددة، أما الله فانه يهدف إلى هدف واحد فى وقت واحد. إنه يعالج خطية واحدة، أو سقطة واحدة، أو معطلاً واحداً،

أو ثقلا واحداً. عندما تكون أمام المائدة الربانية تتناول من جسد الرب ودمه، أو عندما تكون وحيدا. أو عندما تدرس الكتاب المقدس، يكون هذا الأمر الواحد موضع مشغولية قلبه. وعندما تلقى به هناك فانه يعمل فيك أن تريد. هذا أول شئ. وهذا ما حصل لى.

فانه عندما بدأ الله يعمل بداخلى، منذ سبعة عشر عاما، كان هنالك شئ فى حياتى لا يعرفه أحد. لكن فى ساعة خلوتى عمل الله فى داخلى أن أريد الكف عنه. لكننى كنت ضعيفاً جداً بحيث تعذر علىّ الكف عنه.

وشكراً لله فإن الإرادة منه، والإتمام منه. وبالإيمان يمكنك أن تتطلع إليه لكى يتمم لك ما تعجز أنت إتمامه لنفسك.

وهكذا أدركت أن الله يعمل هكذا. إنه يرشدنى لكى أرى ناحية الخطأ فى هذا الشئ أو ذاك، وعندئذ أجعل إرادتى تقاومه وكلما اقترب منى قال لى الله: "أنه آت. اختبئ فى نقرة الصخر. إننى أراه قادماً".

إذا ما هجم علىّ أركض وأختبئ، فيجدنى إبليس فى المسيح. وإذا ما استطعت بسبب عدم ثقتى فيه بأن يحفظنى فانه يعمل فىّ لكى أحزن، وعندئذ أحزن، ثم يعمل فىّ لكى أعترف.

منذ سنتين، إذ كنت ذاهباً إلى الكنيسة صباح يوم الأحد، تبينت أن حارس الكنيسة ارتكب خطأ فاحشاً فحراس الكنيسة ليسوا معصومين من الخطأ وإن كانوا يعيشون فى الكنيسة. فثرت فيه غاضباً. وكنت وقتئذ مزمعاً أن أقوم بخدمة الوعظ بعد ربع ساعة. ولأننى ثرت وتهيجت على الحارس فقد فقدت علاقتى مع الله. ثم أتى معونىّ لكى يشتركوا معى فى الصلاة قبل اعتلاء المنبر. لكننى ارتبكت. ولم أعرف كيف أنصرف. لأننى كنت أعلم بأننى سقطت. وكنت أعلم أننى يجب أن لا أتجاسر على الكرازة

بإنجيل الله قبل أن أصطلح مع مَن أسأت إليه، لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان فى سلام مع الله إلا إذا كان فى سلام مع أخيه الإنسان. فان علاقتنا مع أخو تناهى مقياس علاقتنا مع الله. خيل إلىّ بأن الذين معى قد يعتبروننى مخبولا فيما سأفعله، لكننى استدعيت الحارس وقلت له:

إنك قد ارتكبت خطأ فاحشاً الآن، لكن هذا لن يبررنى فى احتدادى عليك. فسامحنى.

كان ذهول الحارس أكثر من سروره. لكننى لم أبال بهذا. فقد أديت واجبى، واستراح ضميرى، وعادت إلىّ شركتى مع الله. لقد عمل الله فىّ أن أعترف.

قد يحتد الزوج على زوجته فى الصباح، ثم يخرج إلى عمله. ويقضى ساعات طويلة يتمنى لو لم يكن قد احتد. فيقول روح الله فى داخله: اعتذر لها عندما تعود إلى البيت.

لكنه لا يلبى هذا النداء، لأن بعض الرجال خشنى الطبع مع زوجاتهم. وبدلا من الاعتذار يقول: سأشترى لها فاكهة تحبها.

بعد ذلك يدخل البيت ومعه الفاكهة. وإذ تفتح له الزوجة تدرك قصده، وتتقبل منه هديته معتبرة إياها نوعاً من الإعتذار، ذاكرة أنه إنما هو إنسان بشرى ضعيف. لكنه كان الأجدر به والأسمى والأقرب إلى الرجولة وإلى روح المسيحية لو أنه قال لها: يا زوجتى العزيزة، لقد أخطأت فسامحينى، سامحينى هذه أفضل طريقة. وعندما يعمل الله فى داخلك لكى تعترف فيجب أن تعترف. اعترف لمن أسأت إليه، سواء كان رجلا أو امرأة أو ولداً أو خادماً وضعيفاً. اعترف للّه على يدى كاهنه، ودم يسوع المسيح يغسلك فتصير أبيض من الثلج.

وكم من الوقت يمر بين الاعتراف والغفران؟ عندما كنت صغير السن، تلميذاً فى المدرسة تكلمت مع التلميذ الذى بجوارى، فأجلسونى فى مؤخرة الفصل. ولم أعد إلى مكانى إلا بعد شهر. لكنك إن ارتكبت أى خطأ واعترفت به فان الله لا ينتظر شهراً حتى يغفر لك لكنه فى الحال يغفر، ويرد نفسك، ويعيدك إلى حيث كنت قبل السقوط.

كل ما عليك أيها العزيز هو أن تثبت فى المسيح. دع الروح القدس الذى فيك يحفظك ثابتاً فى المسيح. حتى إذا ما أتى الشيطان وقرع على بابك ذهب المسيح وفتحه، فإذا رأى الشيطان وجه المسيح فر هارباً فى الحال. دع المسيح يحيا فى قلبك. هل تعيش أنت فى المسيح؟ عندما يأتيك الشيطان لا تقابله أنت، بل دع يسوع يقابله وقف أنت خلفه. دع يسوع بينك وبين الشيطان. وعندئذ يعمل الله فى قلبك. فيجعلك تبغض الخطية، وتبغض ما كنت تحبه ويخلصك أكثر فأكثر من محبة الخطية ومن سلطانها. قد تستغرق هذه العملية وقتا طويلا، لكنه يحفظك من الخطية المعروفة، ويخلصك يوما فيوما.

يا ابن الله، يا من أنت قادر أن تحفظنا غير عاثرين وتوقفنا أمام مجدك بلا عيب فى الابتهاج (يه ٢٤)، يا محب البشر، إننى فى يديك استودع نفسى، حياتى، استودع ذاتى بكليتى.

العظة السابعة

إنسانا الله

في نظر الله يوجد إنسانان. "صار آدم الانسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً. الإنسان الأول من الأرض ترابي. الإنسان الثاني الرب من السماء" (١ كو ١٥ : ٤٥ و٤٧).

وأريد الآن أن أتحدث عن هذين الإنسانين.

الإنسان الأول:

أخذ الرب تراباً من الأرض، وخلقه إنساناً على صورته. لاحظ بأن ذلك الإنسان أخذ طبيعته من يد الله. ولهذا فانه إذ أكل من الثمرة المحرمة جعل مركز دائرته في نفسه بدلا من أن يجعلها في الله. بعد ذلك طرد من الجنة، وبطرده طرد كل الجنس البشري. ويقول تقليد إنه إذ خرج هو وحواء قطفت حواء زهرة لتأخذها معها، لكن الزهرة ذبلت إذ خرجت من الباب. في تلك اللحظة خرجت أنت، وخرجت أنا، وخرج كل الجنس البشري من الجنة. وتلا ذلك ثلاث نتائج: عرق الجبين، وآلام مخاض الولادة، والموت. عرق الجبين لكفاح الرجل، وآلام تصحب ولادة كل الأطفال، وقبور تملأ الأرض.

وأخيراً ولد آدم أبناً على صورته. أي أن كل طفل يولد خارج الجنة يكون فيه ميل للبقاء خارج الجنة، لا للعودة اليها وهكذا بولادتنا الأولى نحن نرث حرمان الجنة، وعرق الجبين، وآلام المخاض، والموت، والميل للشر

الإنسان الثانى

إننى آراه أولا فى تجربته. جرب الإنسان الأول بشجرة، وجرب الإنسان الثانى بالخبز. وكما جعل الإنسان الأول ذاته وشهواته قاعدته هكذا جعل الإنسان الثانى إرادة الله قاعدته وقال "طالما كان أكلى لا يتفق مع إرادة الآب فلن آكل. فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" وهكذا أصاب الشاعر المعروف "ملتون" عندما قال إن الفردوس يعاد الينا بفضل انتصار المسيح على التجربة.

تأمل فى الإنسان الثانى. فقد تصبب العرق من جبينه أيضاً، لأنه جلس متعباً على بئر سوخار. وهو أيضاً قد تحمل آلاماً وأوجاعاً مرة، وبآلامه ولد (خلق) أرضاً جديدة وسماء جديدة. وهو أيضاً ذاق الموت. وهكذا اشترك معنا طبيعتنا فى كل شئ ما خلا الميل للخطية.

تأمل فى ذلك الصليب. لقد مات الإنسان الثانى. واضطجع فى القبر، لكنه قام من ذلك القبر وكان أول من قام. قد تقول: ألم يقم لعازر من القبر؟ نعم قام لكنه قام لكى يعود للموت. لكن الإنسان الثانى قام من بين الأموات وداس الموت. وإن أردت أن تعرف كيف ستكون أنت وأحباؤك بعد الموت فتأمل كيف قام المسيح. لقد تكلم، فعرفت مريم صوته، وسوف يتكلم معنا أحباؤنا يوماً ما فنعرف أصواتهم. لقد تكلم معهم عما حدث بعد موته، وسيتكلم معنا أحباؤنا يوماً ما عن مناظر بيت عنيا والناصرة والجليل التى سرنا فيها معا مراراً كثيرة.

ثم تأمل فى الرب المقام. لقد ذهب إلى جبل الصعود ـ لن أستطيع أن أفهم لماذا لا تكثر الكنيسة من تعليمها عن القيامة وعن الصعود بصفة خاصة. على جبل الصعود ودع المسيح تلاميذه الوداع الأخير فى الصباح الباكر ترك مدينة أورشليم، ولعل تلاميذه تبعوه، فقد كانوا يرونه، ولكن أحداً سواهم لم يره. فالناس الذين التقوا بهم فى الطريق رأوهم هم فقط، ولكنهم لم يروا المخلص المقام من بين الأموات الذى كان يتقدمهم. وأخيراً اجتمع المسيح مع تلاميذه على جبل الصعود، فباركهم، وبدأ يصعد، فأخذته سحابة كأنها مركبة مرسلة من عند الآب.

ويحدثنا الرسول بولس فى (أف ١ : ٢١) عما حدث من وراء السحابة. فهو يخبرنا بأن رياسات وسلطات وقوات وسيادات وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضا كانت كلها تنتظر هناك لكى تعوق طريق المخلص.

وفى (أف ٦ : ١٢) يبين الرسول أن هذه الرياسات والقوات لم تكن ملائكة منيرين بل شياطين من جهنم "فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات". كانت كل قوات جهنم هناك فى ذلك الصباح متحفزة لمنع صعود المسيح. لماذا؟ لو أن المسيح ارتضى أن يصعد كإله فقط لما كان الشيطان قد فكر فى إعاقته، لأن صعود المسيح إلى السماء أمر طبيعى فهو الله لكن المسيح بصعوده أصعد معه طبيعتنا، فانه هو الإنسان الثانى الذى مثل البشرية فى تجسده، وفى موته، وفى قيامته، وفى صعوده. ولهذا تجمعت كل قوات جهنم لكى تحاول منع المسيح من أن

يصعد الأنسان إلى عرش الله. لا يرى الشيطان ضيراً من أن يصعد المسيح كإله، لكنه يقاومه إذا صعد كمثل للإنسان. وهكذا كما فى الأنسان الأول خرج كل الجنس البشرى من الجنة هكذا فى آدم الثانى يعود إلى الجنة كل الذين يؤمنون به. لهذا حاول الشيطان أن يمنع صعود المسيح إن أمكن. لكن هيهات أن يمنع الشيطان صعوده مهما تجمعت كل الشياطين. فقد جاز فى وسطهم، وصعد إلى السماء. ولأول مرة فى تاريخ المسكونة صعدت الخليقة أمام عرش الله ذاته.

أيها الأحباء، افهموا بأن طبيعتكم البشرية هى أسمى طبيعة فى المسكونة. يالهذه الطبيعة العجيبة التى أملكها، والتى لبسها ابن الإنسان، والتى بها استطاع استفانوس أن يقول وقت احتضاره:

"ها أنا أنظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائما عن يمين الله" (أع ٧ : ٥٦).

هنا أتوقف لحظة، وأطلب من كل واحد أن يرفع قلبه ويقول "مستحق أنت ياابن الإنسان، يامن أنت أيضا ابن الله. لك الكرامة والمجد والعظمة أيها الإنسان الثانى الممجد"

الآن أرجوكم أن تذكروا أننا بالولادة الأولى كنا كلنا فى الإنسان الأول، وبالولادة الثانية يمكننا أن نكون كلنا فى الإنسان الثانى. لقد ولدتم بالطبيعة فى آدم الأول، وبالنعمة ولدتم فى آدم الثانى. "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه" (يو ١ : ١٢)

وشكراً لله إن كل واحد منكم يمكن أن تتجدد حياته الآن وهو يصغى إلى كلامى. انظروا إلى يدى. إن لها جانبين، الجانب الواحد متجه نحو

سقف الغرفة، والآخر متجه نحو أرض الغرفة. هما جانبان ليد واحدة. وهذه اليد تمثل العملية التي بها نتحد مع المسيح. هذه العملية لها جانبان: الملائكة في السماء يدعونها تجديد الحياة، والناس على الأرض يدعونها الاعتماد على يسوع. إنك إن اعتمدت على يسوع تجددت حياتك، وإن تجددت حياتك اعتمدت على يسوع. وأنت لا تستطيع أن تقول أيهما يتم أولا كما أنك لا تستطيع أن تقول أى برتق (نصف قطر) فى العجلة يدور معها أولا. فإنها كلها تدور معا فى وقت واحد.

والان أيها العزيز أرجو أن تصغى إلىّ. ربما تكون فى الماضى قد عشت حياة نجسة، أو تملكت محبة المال على قلبك. لقد أتيت لتسمع عظة، ولعلك لا تدرى لماذا حضرت. ربما يكون قد دعاك للحضور أحد أصدقائك، ففكرت فى الحضور لتقضى ساعة أو أثنتين. لكننى أقول لك بأنك إن اتحدت نفسك مع يسوع المسيح الذى مات من أجلنا، إن رفعت قلبك إليه الآن وقلت له "أيها الرب يسوع المسيح إننى آتى إليك معتمداً عليك كمخلصى"، فقد لا تذرق الدموع، ولا تشعر بنشوة الفرح أو بأى شئ آخر، لكنك تعمل هذا بعزم القلب، وتختار المسيح، ففى اللحظة التى تعمل فيها هذا يتحدك الروح القدس بالرب يسوع المسيح، وتبدأ فيك بداية حياة جديدة. قد يستغرق الأمر سنوات طويلة لكى تكمل هذه الحياة الجديدة، لكنها على أى حال تبدأ فى الحال فتصبح أنت خليقة جديدة.

والآن لنتقدم إلى الأمام خطوة أخرى. من أعجب ما نراه فى الكتاب المقدس أنه يتحدث فى كثير من المواضع بصيغة الماضى. فمثلا فى (أف ٢ : ٥ و٦) يقول الرسول ـ كما يقول أيضا فى رسالة كولوسى ـ إن الله "أحيانا

مع المسيح وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع".

أرجوا أن تصغوا بانتباه إلى ما أقول. لقد عرف الله كل الذين سيؤمنون بيسوع ويتحدون به، فوقف المسيح نائبا عنهم. فعندما كان على لصليب كان معه على الصليب كل الذين كانوا سوف يؤمنون، كانت معه على الصليب كنيسته الواحدة الحقيقية. ولهذا فاننا فى المسيح قد وفينا قصاص خطايانا. من المستحيل أن يهلك المؤمن لأن اللّه رأى بأن خطاياه وفيت عندما مات المسيح. لقد وفى دينه عندما مات فى قصد الله فى المسيح منذ حوالى ألف وتسعمائة سنة. إذاً فانه عندما وضع فى القبر دفنت أنت وأنا وكل الكنيسة معه فى القبر أيضا.

أيها الأخ العزيز، إذا رجعت وعشت حياة العالم فإنك بهذا تعود إلى العالم الذى يبغض المسيح، وبالتالى يبغض الكنيسة.

وكما أخذت حواء من جنب آدم إذ كان نائماً هكذا اخذت الكنيسة من المسيح إذ كان نائماً فى القبر، وعندما قام قام فى محفل عظيم جداً عدد وفير من القبر. ولهذا فاننى فى صباح عيد القيامة لا أحتفل فقط بقيامة المسيح بل بقيامتى أنا أيضا، لأننى أنا أيضاً قمت فيه.

كان جميلا جداً إن نجتاز عاصفة شديدة اذ كنا يوماً ما نعبر المحيط الأطلسى. كانت العاصفة شديدة جداً لدرجة أنه تعذر علىّ أن أعظ المسافرين إذ كانوا جالسين فى صالون السفينة التى كانت تتمايل هنا وهنالك بشدة. لكننا اجتزنا العاصفة بسلام وصار هدوء عظيم. وعندما مات المسيح حملك وحملنى فلك اللّه مجتازاً عاصفة الموت، وجاء بنا إلى مياه هادئة، وفوقنا زرقة سماء محبة اللّه.

وفى يوم الصعود أحتفل أيضاً بصعودى، لأن كل المؤمنين قد صعدوا مع المسيح، وهم الآن يجلسون معه فى السماويات. ولهذا يجب علينا ان نعيش يوماً فيوماً كمن اجتازوا إلى السماويات.

إنك تقول بأننى عندما أموت تبدأ أبديتي. ليس الأمر كذلك، فان أبديتى بدأت يوم ولدت فى المسيح. والحياة الأبدية فى قلبى اليوم. والتغيير الوحيد الذى يحدث لى عند ما اجتاز ما يسميه الناس موتا، لكننى لا أعتبره موتا، بل هو مجرد ظل الموت، لأننى مت فى المسيح، ولن يمكن أن أجتاز الموت مرة أخرى، بل أجتاز ظل الموت، ولا يمكن أن مجرد الظل يؤذى أحداً ولو كان مخيفا ومفزعاً ـ التغيير الوحيد الذى يحدث لى هو أننى أتخلص ـ وقتياً على الأقل ـ من ذلك الجسد المتعب، الذى سوف يرقد منتظراً حتى تتحد به روحى ثانية وهو كامل الجمال. على أن محبة الله لى سوف لا تزيد عما هى الآن. ثم اننى لا أعطش بعد، ولا أجوع بعد، ولا تضربنى الشمس ولا الحر، لأن حمل الله يقودنى يوماً فيوماً إلى ينابيع مياه حية، والله يمسح كل دمعة من عينيّ. فان الأبدية قد بدأت.

والآن لنتأمل كيف يتم هذا:

موقفك أمام الله:

إن موقفك هو فى المسيح. إنك تقف اليوم فى المسيح. لا تنس أبداً أن تميز بين موقفك واختبارك. فان موقفك هو فى المسيح، أما اختبارك فهو فى إحساسك. يقول "يوحنا بنيان" إن احساسنا يشبه إنفاق المال الذى فى جيوبنا. فى بعض الأحيان يزيد المال الذى فى جيوبنا، لكنه عادة ينقص. أما موقفنا فى المسيح فإنه يشبه المال الذى نحتفظ به فى المصرف (البنك)،

الذى لا يتأثر بنفقاتنا اليومية. فى بعض الأحيان أكون مسروراً، وفى أحيان أخرى أكون حزيناً منقبضاً أو مجهداً أو أميل إلى أن أحتد. لكنه ليس أمراً ذا بال إن كنت أجتاز وأدى الآلام والأحزان المظلم وكل التأثيرات العابرة. فموقفى لا يتأثر مطلقاً لأنه مركز فى المسيح مخلصى، الذى أقف فيه أمام الله. مبارك الله من أجل هذا. إذاً فلا تتطلع إلى أى دليل فى عواطفك وإحساساتك، بل تطلع إلى موقفك فى المسيح.

ثم تطلع إلى نصرتك

إنك فى المسيح منتصر على الشيطان. لاحظ بأن الشيطان قد خلق فى بداية الأمر لكى يكون وكيل الله. لكنه سقط. وخلق الله الإنسان بدلاً عنه لكى يتسلط على الأرض، فاعتزم الشيطان على أن لا يسمو عليه الإنسان قط. وفكر فى أن يدوس الإنسان تحت قدميه، ولهذا نفث فيه نسمة جهنمية، فسقط الإنسان فى محبة الذات التى هى جهنم وضحك الشيطان ضحكة جهنمية قائلا: لقد انتصرت وصرت أعلى من الإنسان.

انتصر الشيطان على موسى، وأيوب، وداود، وعلى كل البشر. أما المسيح فقد أتى متأنسا، أخذ شكل إنسان، ودحر الشيطان أمامه ثلاث مرات فى البرية. وفى كل أيام المسيح على الأرض كان يخرج الشياطين منتصراً عليهم. أتاه الشيطان وهو معلق فوق الصليب فسحق المسيح رأسه. وأتاه الشيطان وقت الصعود فوطئه المسيح تحت قدميه. وفى المسيح، رأسنا، وطئه ألجنس البشرى تحت قدميه. وبالرغم من كل ما حاول الشيطان أن يفعله فإن الإنسان الثانى، الرب من السماء، انتصر عليه، وفيه انتصرنا نحن أيضاً على الشيطان. ولهذا فعندما يأتينا الشيطان ينبغى أن نذكره بنصرة المسيح

عليه. إن طبيعة المسيح أسمى من طبيعة الشيطان، وإن كانت لك طبيعة المسيح فأنت أسمى من الشيطان.

حاولت مرة أن أوضح هذا لأحدهم فقلت له:

ـ لأى جزء من أجزاء جسد المسيح تنتمى؟

ـ فقال: لا أعلم

ـ قلت : هل تنتمى للعين فى جسده الرمزى؟

ـ قال: لا ، لأننى لا أبكى البكاء الكافى.

ـ هل تنتمى لفمه؟

ـ كلا، لأننى لا أتكلم الكلام الكافى.

ـ هل تنتمى لقلبه؟

ـ فأجاب: كلا، فإننى لا أحب المحبة الكافية.

ـ هل تنتمى ليده؟

ـ كلا، فإننى لا أعمل عملا كافياً.

ـ فقلت: أيها الإنسان الحى، إن كنت مسيحياً حقاً فأنت تنتمى لأحد أعضاء جسد المسيح. فلأى عضو تنتمى؟

ـ فأجاب: ربما أنتمى لقدميه.

ـ إن كنت فى قدميه، فان هذا يحقق الغاية التى أهدف إليها لأنه مكتوب إنه يسحق كل أعدائه تحت قدميه.

وهكذا نقرر بكل تأكيد أن من يكون المسيح حالا فيه ويكون ثابتاً فى المسيح فان الشيطان لا يقوى عليه ولا يمسه.

إن الطريقة الوحيدة التى بها ينتصر عليك الشيطان هى أن يلقى أمامك بعض الفتات لكى يزحزحك من تحت جناحى المسيح. طالما كنت هناك تحت جناحيه فان الشيطان لا يقدر أن يمسك. ولهذا فانه يلقى أمامك، بعض الفتات من ملذات العالم، والأفكار الشريرة، والشهوات الردية ويقول لك: تعال، تعال، تعال. فاذا ما ذهبت إليه انتصر عليك. إذا ثبت فى المسيح فانه لا يقدر أن يمسك. فاثبت فى المسيح، ودع المسيح يثبت فيك، وعندئذ لا يكون للشيطان أى سلطان عليك

عطايا:

فى (أف ٤ : ٨) نقرأ هذه الكلمات "لذلك يقول. إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا". وفى (أع ٢ : ٣٣) "وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذى أنتم الأن تبصرونه وتسمعونه".

إن المسيح إذ صعد إلى السماء أرسل الينا الروح القدس المعزى الذى يرشدنا إلى كل الحق، ويحفظنا فى الحق، والذى يعين ضعفاتنا ويخلق من ضعفنا قوة. نحن من أنفسنا لا قوة لنا. لكننا بالإيمان ننال قوة نتغلب بها على كل صعوبات الحياة، لنقف معه إلى الأبد فى حضرة الآب

العظة الثامنة

الامتلاء بالروح القدس

لقد قبلنا الروح القدس منذ اللحظة التى اصبحنا فيها مسيحيين. لكننا نحتاج إلى الامتلاء من الروح القدس.

فى (أف ٥ : ١٨) يأمرنا الرسول أمراً صريحاً قائلاً "امتلئوا بالروح". ومما يلاحظ فى هذه الآية أن نتائج الامتلاء بالروح شبهت بنتائج الخمر على الجسم "لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح"

هنالك ثلاثة أوجه للشبه: الفرح، والكلام، والقوة

أولا: الخمر تسبب شعوراً بالفرح. فالسكير يغنى وهو ذاهب إلى بيته. وعندما يمتلئ المؤمن بالروح القدس حقاً فان فمه يمتلئ بالتسبيح والترنيم، وعندما تمتلئ الكنيسة بالروح القدس تهتف وتغنى.

ثانيا: والمرء إذا امتلأ بالخمر يكثر الكلام، ولا يمكنك أن تمنعه من التكلم. والمرء إذا امتلأ بالروح القدس يتكلم ولا يمكنه أن يصمت. بل لابد أن يتحدث عما صنعه الله به.

ثالثا: والمرء إذا امتلأ بالخمر يشعر بأنه ازداد قوة، يشعر كأنه يستطيع أن يقف وحيداً ضد العالم. هكذا إذا امتلأ المرء بالروح القدس يمتلئ أيضاً بقوة الله.

هذا الإمتلاء بالروح القدس قد يحدث فجأة، أو قد يحدث ـ دون أن يشعر المؤمن ـ تدريجياً. عندما يأتى المرء إلى المسيح ويسلم له ذاته بكليته، فان المسيح يبدأ فى الحال بأن يملأه بالروح القدس. قد لا يحس المؤمن

بهذا الإمتلاء التدريجى، لكن المسيح لن يكف عن اتمام هذه العملية إلى أن يملأه إلى كل الملء من سواقى الله الممتلئة ماء.

يتحدث العهد الجديد ـ فى الأصل اليونانى ـ عن هذا الإمتلاء بثلاث صيغ من الأفعال. فى (أع ١٣ : ٥٢) يقول إن التلاميذ فى غلاطية "كانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس". لقد كانوا مثل بحيرة فى جبل تمتلئ دواماً بالمياه الناشئة من ذوبان الثلج الجاثم فوق الجبل. وكما أن البحيرة تفيض منها المياه لتروى المزارع التى فى أسفلها هكذا تقطر إليها بصفة دائمة من الثلوج التى فى أعلاها.

أيها المؤمن العزيز، كن كبحيرة فى جبل، فمن الناحية الواحدة تفيض منك المياه لتروى عطش النفوس العطشى، ومن الناحية الأخرى تمتلئ دواماً إذ تتقبل كل لحظة من ملء الروح القدس.

وفى (أع ٦ : ٥) يخبرنا الوحى أن استفانوس كان رجلا "ممتلئا" من الروح القدس. وإننى أستنتج من هذا الوصف أنه كان رجلا متزناً، ثابتاً غير مزعزع وغير متقلب. لم يكن فى وقت ما باشاً وفى وقت آخر منقبضا. أينما قابلته وجدته دائما عليه مسحة ملائكيه، فى فمه دائماً كلمة رقيقة، صفاته دائماً رائعة الجمال، دائماً يلتهب غيرة ليمجد المسيح أيها الأحباء، إننى أتمنى أن تستمروا دائمى الامتلاء يوماً فيوماً، كما أتمنى أن تكونوا دائماً ممتلئين.

وفى (أع ٤ : ٨) يخبرنا الوحى بأن بطرس امتلأ ثانية من الروح القدس فجأة إذ كان يريد أن يخاطب السنهدريم، وذلك بالرغم من أنه سبق أن حل

عليه الروح القدس يوم الخمسين، إننى اعتقد بأنه وقتئذ ركز إيمانه فى الله فى لحظة فنال فجأة إعداداً كاملا لمهمته.

أيها الخادم العزيز، ربما تكون إنساناً ممتلئاً بالروح القدس فى عائلتك لكن عندما تجثو فى مخدعك فى الكنيسة قبل أن تصعد إلى المنبر، قبل أن تبدأ أية خدمة لله سواء كانت خدمة بالكلام أو بالكتابة، فاحرص على أن تكون قد نلت ملئاً جديداً من الروح القدس يعدك لهذه الخدمة. فى حياتى الشخصية وجدت أنه من الضرورى جداً بعد القيام بخدمة مضنية للروح والأعصاب والجسم أن أختلى مع الله واجدد قوة بالحصول منه على ملء جديد من الروح القدس، لكى يعدنى لخدمة جديدة.

والآن أرجو أن تلاحظوا بأن عمل الروح القدس، عندما يملأ القلب، له نتائج فى صفات المؤمن، وهذه يبينها المسيح فى ثلاث آيات، تبدأ كل منهما بهذه العبارة "فى ذلك اليوم". أراد أن يبين بأنه عندما يأتى يوم الخمسين ويحل الروح القدس تحدث ثلاث نتائج:

(١) فى (يو ١٤ : ٢٠) يقول الرب: "فى ذلك اليوم" عندما يشرق نور الروح القدس فى قلوبكم، ويطرد الظلمة، ويملأ قلوبكم، فى ذلك اليوم تعلمون ثلاثة أشياء:

١ ـ "تعلمون أنى أنا فى أبى". تعلمون أنى فى الآب، ولذلك فانكم لا تخافون من الآب ثانية، بل تأتون إليه فى أية لحظة، عالمين أنى أنا فى الآب. أيها الأخ العزيز، عندما يعلن لك الروح القدس شخص الآب فى يسوع المسيح فانك لا تعود تخاف من الله.

٢ ـ تعلمون أنكم "أنتم فيّ" هذا هو موقفكم. قد تكون طبيعيتكم ضعيفة، وقد تكون خطاياكم كثيرة فى بعض الأحيان لكنكم ستعلمون أنى أنا فى أبى، وأنتم فيّ، مقبولين فى الحبيب.

إننى قريب جداً من الله

ولا يمكن أن أصير أكثر اقترابا

لأنى فى شخص ابن الله

قريب من الله كقربه هو

٣ ـ وتعلمون إنى "أنا فيكم". إن الروح القدس يعلن لنا أن المسيح حال فينا

جميل جداً أن يبدأ الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا بالمنازل الكثيرة، أى سكتنا مع الله، وينتهى بسكن الله معنا. لأن نفس الكلمة التى استخدمت للتعبير عن منازل بيت الآب فى الآية الثانية استخدمت فى الآية الثالثة والعشرين للتعبير عن المنزل الذى يصنعه الآب والابن ليحلا فيه فى المؤمن.

رُب قائل يقول لى: ألست بهذا تنادى بمذهب التصوف أى بمبدأ الحلول

ولهؤلاء أقول: ليس كل متصوف مسيحياً، لكن كل مسيحى ملتزم بأن يكون متصوفا، لأن التصوف هو حلول الله.

تنادى ديانة الهندوس بحلول الله، لكنها تخدعهم. فهم لا يمكنهم أن يصلوا اليها لأنهم يسعون اليها بمحاولة إفناء شخصيتهم فى الله. أما نحن المسيحيين فاننا نطلب أيضا بأن نعرف حلول الله فينا، لكن ذلك ليس بافناء شخصيتنا، بل بقبول طبيعة الله كقوة فعالة تعمل فى شخصيتنا التى أعطاها لنا هو. "تعلمون إنى أنا فى أبى، وأنت فىّ، وأنا فيكم".

(٢) والآن تأملوا فى (يو ١٦ : ٢٣) "وفى ذلك اليوم لا تسألوننى شيئا". أو "لا تسألوننى أسئلة" حسب النص اليونانى.

إلى ذلك الوقت كان التلاميذ يسألون دواماً أسئلة توحيها اليهم عقولهم، أسئلة غريبة. لكن عندما حل عليهم الروح القدس لم يكن هنالك مبرر لسؤال أسئلة توحيها إليهم عقولهم، لأنهم رأوا الحق بقلوبهم.

إن كنت أعمى فإننى أسأل صديقى عن المنظر العام المحيط بى: هل هنالك جبال؟ نعم. هل هناك أنهار؟ نعم. هل هناك حقول حنطة؟ نعم. وهكذا أوجّه سؤالا بعد سؤال وأحصل على الإجابة. لكن إذا انفتحت عيناى، أو عندما يشرق نور الصباح، فاننى لا أعود أسأل أى سؤال عن أى منظر محيط بى، لأننى أرى كل شئ.

قبل الامتلاء بالروح القدس ترى الغموض يكتنف أشياء كثيرة، أما بعد الامتلاء فانك ترى بقلبك كل شئ بوضوح.

هذا هو الحال مع القلب بعد أن يستنير بالروح القدس. فان قلب المؤمن النقى يصل إلى نتائج لم ترها عين ولم تسمع بها إذن ولم تخطر على عقل

إنسان. فان موهبة التمييز تكون قد تغيرت، ولا نعود بعد نطلبها بالعقل بل بالقلب. ولا يعود المرء يناقش بعقله بل بقلبه.

(٣) ولنتأمل أيضاً في (يو ١٦ : ٢٦) "في ذلك اليوم تطلبون باسمي

في الكتاب المقدس تستخدم كلمة "اسم" بدلا من الكلمة "طبيعة ولهذا فيمكنك دائما استبدال كلمة "اسم" بكلمة "طبيعة". وعلى هذا الأساس يقول المسيح إنه عندما يحل يوم الخمسين تطلبون في طبيعتي، أو أن طبيعتي تطلب فيكم. وكلما طلبت طبيعة المسيح أي شئ من الآب، فان الآب يعطي لأنه هو ويسوع واحد.

في بداية الحياة يطلب المؤمن أشياء كثيرة ولا يعطيها الله، وفي بعض الأحيان ننزعج ونظن أن الصلاة لا قوة لها. ولكن لما تتقدم بنا الأيام نضع صلواتنا تحت اختبار طبيعة المسيح. وإذ تدور بمخيلتنا الطلبة بعد الأخرى نسلط على طلباتنا نور طبيعة المسيح، فنحجم عن تقديم الكثير منها، ونقول لا يمكنني تقديم هذه الطلبة، لا أجسر أن أقدم هذه، إنني أشعر بأن هذه لا تتفق مع طبيعة ربي التي أصبحت الآن طبيعتي. وهكذا لا أقدم أية طلبة إلا تلك التي تتفق مع طبيعة المسيح.

إنني الآن في حياتي أجد أن صلواتي ليست طويلة كما كانت قبلا، وأنني أصلي ببطء أكثر. فانني أجلس، أو أقف، أو أجثو، وأنتظر حتى يرشدني الروح القدس إلى الصلوات التي تتفق مع طبيعة المسيح. وإذ أرفع صلواتي الضعيفة، معتمدا على شفاعة الروح القدس، أنال ما طلبت.

هنالك فى الواقع شفيعان: شفيع لدى الآب هو الرب يسوع المسيح، وشفيع فى قلب المؤمن هو الروح القدس، وهذان الشفيعان هما واحد، عندما يوعز اليك الروح القدس بصلواتك فانه يضع فيك الصلوات التى يرفعها الرب يسوع المسيح إلى الآب، وعندئذ تكون لك حلقة الصلاة الكاملة الذهبية. الآب والابن والروح القدس الذى فى داخلك، ويرتفع صوتك فى توافق تام مع الثالوث المقدس. وهكذا تكون الرغبة التى صدرت من الله الآب، وانعكست من طبيعته بالمسيح الابن، ووصلت إليك بالروح القدس، قد رجعت منك، وعندئذ تعلم إنك نلت الطلبات التى تريدها منه، وهذه هى **فلسفة الصلاة** فى رأيى.

(٤) لكن هنالك عمل رابع للروح القدس. ففى (يو ١٥ : ٢٦ و ٢٧) قيل "فهو (أى الروح القدس) يشهد لى وتشهدون أنتم أيضاً"

لقد وضعت الكنيسة فى العالم ليس لكى تحاجج أو تدافع عن الله، بل لكى تشهد لله. وفى اللحظة التى ننحرف فيها نحن الخدام عن هذا الوضع ونحاجج ونناقش؛ بدلا من أن نشهد، فاننا ننحرف عن موقف القوة. لقد دعيت أنت وأنا والكنيسة للشهادة لموت المسيح وقيامته وصعوده ومجئ الروح القدس. تستطيع أن تتحدث كما تشاء عن عمل المسيح فى المجتمع، وعن تعليمه، وعن فلسفة انتشار ملكوته، لكن عملك الرئيسى هو أن تقف أمام الناس وتقول:

لقد عرفت عمليا موت ربنا يسوع المسيح وقيامته وصعوده. وإذ تقول هذا يقول الروح القدس "آمين".

فى أحد الأيام رأيت رجلا ينشر قطعة كبيرة من الخشب بمنشار طويل، ومع أننى لم أستطع أن أرى زميله لكننى كنت أعلم أنه واقف فى حفرة أسفل قطعة الخشب. كنت أستطيع أن أعرف حركة جسم الرجل الذى لا أراه وذلك عندما أرى حركة جسم زميله الذى أراه. وأدركت فى الحال معنى تعاون الروح القدس فى الشهادة.

عندما يقف الواعظ فوق المنبر ويقول "يسوع مات"، يقول الروح القدس "نعم مات". وعندما يقول إنه قام يؤيد الروح القدس شهادته. وعندما يقول إنه صعد إلى السماء، وأنه حى ويملك مع الآب يؤيد الروح شهادته أيضاً.

أيها الزملاء الخدام، إننى منذ تعلمت هذا الدرس أشعر بأن خدمتى قد تغيرت تغييراً كلياً، لأننى الآن عندما أعتلى المنبر أشعر بأننى لست إلا آلة صغيرة جداً فى الجهاز العظيم الذى يعمل. فاننى عندما أتكلم يكون الروح القدس يعمل فىّ. ولذلك فان خلاص شعبى لا يتوقف على الحكمة الإنسانية بل على برهان الروح القدس والقوة (١ كو ٢ : ٤). فانهم إذا ما قبلوا كلامى على أساس أنه مجرد كلام بشرى صار التأثير سريع الزوال، أما إذا كان الكلام مصحوبا بعمل الروح القدس صار التأثير دائماً

أيها الأحباء لقد كنتم تلاميذ فى المدرسة كما كنت أنا أيضا. وعندما كانت تعطى لنا مسالة فى الهندسة مثالا كنا نرى الحل فى لحظة، لكن كان ينبغى علينا أن نشرح كيف الوصول إلى النتيجة التى رأيناها فى لحظة. هكذا يؤيد الروح القدس كلام خدامه فى فصول مدارس الأحد، أم فى الكنيسة.

بعد أن تنتهى الخدمة فى مدينة لندن فى الشتاء نستخدم الفانوس السحرى من الساعة التاسعة إلى العاشرة، للطبقة الفقيرة التى تستحى أن تحضر وسط الطبقة الراقية. فى تلك الساعة يكون الظلام حالكا ولذلك فانهم لا يستحون من الحضور بملابسهم الرثة. وعندما أجهز العظة ارتب مع سكرتيرى بأن يعاوننى بايضاحات الفانوس السحرى. فعندما أقول "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" أعلم أنه حالما أنطق بالآية يسلط سكرتيرى على الشاشة صورة العالم، وقد كتب تحتها "الله محبة". وعندما أقول "هذا هو الوقت الآن لتقبلوا المسيح" تظهر كلمة "الآن" على الشاشة. وعندما أتحدث عن محبة المسيح التى ظهرت فى الصليب تظهر على الشاشة صورة المسيح مصلوباً. ولا أحتاج إلى التطلع للشاشة لمعرفة ما إذا كانت تلك الصورة قد ظهرت أم لا، لأن الرهبة التى تبدو على وجود الحاضرين تبين لى أنهم فعلا ينظرون هذه الصورة على الشاشة. وهكذا يوضح سكرتيرى للشعب ما أقوله على مسامعهم.

إننى "أعتقد" بأننى قد أوضحت قصدى. فاننا كلنا نستطيع أن نعمل فى خدمة الله **بالاشتراك مع الروح القدس**.

عندما يصرف الخادم الشعب بالبركة الرسولية ويقول "وشركة الروح القدس" فان كلمة شركة تعنى عملا مشتركاً. فيقف الخادم أمام الشعب فى شركة الروح القدس. والروح القدس يوضح الكلمة التى يتكلم بها الخادم فى ضعفه.

ياخدام اللّه، يجب أن تحرصوا دواماً على أن تكونوا ممتلئين بالروح القدس؛ حتى إذا ما ذهبتم إلى أى مكان ذهب الروح القدس معكم. لعلكم تعرفون قصة الجماهير المزدحمة التى اجتمعت معاً لتسمع أحد خدام اللّه. وإذ أرسلوا إليه رسولاً عاد وقال "سمعته يتحدث مع شخص ما، ولم أشأ أن أزعجه". فأرسلوه ثانية إليه، وعاد الرسول قائلاً "سمعته لازال يتحدث، وسمعته يقول للمستمع إليه: لن أذهب إلا إذا ذهبت معى". وبعد ذلك حضر الخادم يرافقه تلك الشخصية التى كان يتحدث إليها، ولو لم يستطع أحد أن يراها. وعندئذ كانت الخدمة قوية جداً. أيها الزملاء الخدام: **لا تذهبوا لأية خدمة إلا إذا كان الروح القدس يرافقكم.**

فى (اع ١١ : ١٥) قال بطرس أذ كان يتحدث عن كرنيليوس وحلول الروح القدس على بيته ـ كأنه يتطلع إلى الوراء إلى عظة لم يكملها ـ قال "فلما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس".

كان بطرس قد ابتدأ يتكلم، ولم يكمل كلامه بعد، وعندئذ حل الروح القدس، وقال:

"يا بطرس، لقد ابتدأت بداية حسنة، وفى تلك البداية لخصت حياة المسيح وموته وعمله. وهذا يكفى. والآن قف جانباً وأنا أكمل عظتك"

"فلما ابتدأت أتكلم" كم أكون مدينا بالشكر للّه إذا استطعت أن أتكلم نصف ساعة، ثم رأيت الروح القدس فى نهاية العظة يحل على شعبى. لكن يجب أن نكون متأكدين من امتلائنا بالروح القدس فعتمد على رفقه الروح

القدس لنا كما رافق بطرس وغيره من خدام اللّه الأمناء.

والآن، وأخيراً، اليكم سبعة شروط للحصول على معاونة الروح القدس لكم بقوة:

(١) يجب أن تكون ممتلئاً بالروح القدس. ذكر عن بطرس أنه امتلأ ثلاث مرات: المرة الأولى فى الأصحاح الثانى من سفر الأعمال، ومرتين فى الأصحاح الرابع. لقد كان خادماً ممتلئاً بالروح القدس، ولذلك استطاع أن يعتمد على معاونة الروح القدس له.

(٢) يجب أن تخلى. كان بطرس قد أخلى من نفسه. لقد قضى "أياماً كثيرة" فى بيت رجل دباغ. إننى لا أتصور كيف استطاع أن يعيش فى بيت متعب كهذا. فقد كان أولا فى موضع غير صحى بالمرة. ولو ترك الأمر لاختياري لما اخترت البقاء فى مكان كهذا. فالرائحة كريهة جداً. ثم إنه كيهودى كان يعتبره أمراً نجساً أن يسكن فى مكان قريب من الجثث. ومع ذلك بقى فى ذلك المنزل "أياماً كثيرة" (أع ٩ : ٤٣)، كأنه فى مكان مريح. هذا الرسول العظيم، الذى كرز فى أماكن كثيرة أمام جماهير كثيرة، الذى شفى اينياس وأقام طابيثا، أقام فى بيت رجل دباغ ولهذا فانه لكى يعمل الروح القدس متعاوناً مع أى خادم يجب أن يخلى من نفسه.

(٣) يجب أن تكون رجل صلاة. كان بطرس رجل صلاة. نقرأ فى (أع ١٠ : ٩) هذه الكلمات "صعد بطرس على السطح ليصلى نحو الساعة السادسة".

قد يظن البعض بأننى عندما أقول "لا تطلب طلبات كثيرة بل تقبل عطايا الله" أقصد بأنهم يجب أن لا يختلوا فى شركة مع الله. كلا. إننى لا أقصد هذا مطلقاً. فإنه لا يمكن أن يكون هنالك أى اختبار حقيقى بعيداً عن الشركة مع الله. لكن اذكر بأنه بدلا من أن تطلب أشياء كثيرة لا يمكن أن يعطيها الله اطلب أشياء قليلة محددة، وعندئذ تجد ارشاداً ومعونة فى الصلاة وتشعر بأنك لا يمكن إلا أن تصلى من أجل هذه الأشياء القليلة، وأنك لا يمكن إلا أن تشكر الله من أجل أنه قد أعطاك شهوة قلبك، وبهذا تجد أن صلواتك صارت أطول لا أقصر.

(٤) يجب أن تكون راغباً فى أن تكف عن اعتقاداتك السابقة المتحيزة. عندما صدر الأمر لبطرس فى البداية ليذبح ويأكل من الحيوانات التى تدلت من السماء فى ملاءة قال "كلا يارب لأنى لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً" (أع ١٠ : ١٤). لكنه بعد التفكير فى الرؤيا التى رآها كان مستعداً للتنازل عن معتقداته السابقة المتحيزة التى كان يعتقدها كل أيام حياته.

لقد التقيت بأشخاص رفضوا قبول هذا التعليم عن الروح القدس قائلين "كلا يارب، إننى لا أقبل إلا التعليم القديم عن هذا الأمر".

هذه طريقة كثيراً ما تعطل تقدمنا مع الله. لو كان بطرس قد رفض أن يتقدم مع الله لكان الله قد رفضه واختار غيره. فاحرص على أن تتقدم مع الله.

(٥) يجب أن تسترشد بروح اللّه القدوس. هذا أيضاً ما حدث مع بطرس. لقد قال الروح القدس "هوذا ثلاثة رجال يطلبونك قم وانزل واذهب معهم".

أرجو أن تصغي إليّ بانتباه. يجب أن لا تلبي أي نداء أو هاتف في قلبك على أساس أنه أمر نهائي. فقد يكون هذا النداء أو الهاتف من الشيطان أو قد يكون من روح اللّه. فكثيراً ما أتانا الشيطان كملاك نور، لكنك تستطيع دواماً أن تعرف متى يكون الهاتف من اللّه، وذلك بأن يكون أمراً مقرراً. أما الشيطان فانه دائماً يوجه أسئلة. كلما وجدت أسئلة كثيرة تحوم حول عقلك فاعلم بأن هذا هو الغبار الذى أثاره الشيطان. لكن عندما يوحي إليك اللّه بأي أمر فانه دائما يكون محدداً، وكلما صليت زاد الهاتف قوة. وكل تأثير يبعثه روح اللّه في قلبك يعززه دواماً أمران: أولا كلمة اللّه؟ وثانيا الظروف.

فان روح اللّه وكلمة اللّه متوافقان على الدوام. وإن كنت قد دعيت حقاً من اللّه فان الظروف تتوافق مع التأثير الروحي. سوف تجد أن التأثير الداخلي، وكلمة اللّه، والظروف الخارجية في توافق تام. هذا ما حدث مع بطرس. فان الروح القدس قال "هوذا ثلاثة رجال يطلبونك" وفي الحال سمع ثلاثة رجال يقرعون الباب. فيجب عليك أن تتوقع دواماً قرع الرجل على الباب، وإيحاء الروح القدس، يتفقان مع كلمة اللّه.

(٦) يجب أن تكون متواضعاً. عندما سجد هذا القائد الروماني العظيم (كرنيليوس) أمام بطرس الصياد "أقامه بطرس قائلا قم أنا أيضا إنسان". كان

بطرس خادماً حقيقياً لله، فلم تنتفخ أوداجه، بل قال لكرنيليوس "قم".

إن التواضع الحقيقي لازم لكي يتعاون معنا الروح القدس

(٧) يجب أن تطلب مجد المسيح

قبل أن ابدأ خدمة الفانوس السحرى أكون قد اتفقت مع سكرتيرى على كل تفاصيل الخدمة. وإن كنت تريد مساعدة الروح القدس لك فى خدمة الوعظ فيجب عليك أن تكون على اتفاق مع الروح القدس عما سقط عنه.

قد تقول للروح القدس "كيف أبدأ عظتى" ثم يخطر ببالك اسم "يسوع" وعندئذ يجيبك الروح القدس:

"ابدأ كما تشاء. تحدث عن أى موضوع تاريخى كما تريد لكن يجب أن تختم بالحديث عن الرب يسوع المسيح".

كان أحد أصدقائى يسير يوماً ما مع ولد صغير فسأله:

ـ هل تذهب إلى مدارس الأحد؟

ـ نعم أذهب

ـ عن أى موضوع تحدث مدرسكم الأحد الماضى؟

ـ تحدث عن يعقوب

ـ وماذا كان موضوع حديثه فى الأحد الأسبق؟

كان موضوع حديثه عن الصلاة

ـ هل تحدث عن يسوع؟

ـ فقال الولد: هذا الموضوع لا يوجد إلا آخر الكتاب المقدس.

وأود أن أبين لكم بأن يسوع لا يوجد فى آخر الكتاب المقدس بل فى كل الكتاب. فى كل اصحاح، وفى كل آية، وكل حادثة ـ هذه كلها إنما تمهد الطريق للحديث عن يسوع.

ليس معنى كلامى هذا أن يتجنب الواعظ الحديث عن المواضيع العامة: لكننى اقصد بأن كل حديث أو كل عظة يجب أن تهدف إلى مجد المسيح. وأنت إذ تتمم هذا ببساطة وباتضاع فان قوة الله وقوة الروح القدس تشهدان للمسيح الحى فى كنيستك، أو فى صف مدارس الأحد. إن الله لا يبالى كثيراً بمواهبك العقلية، أو الطبيعية، أو بفصاحتك. كل ما يطلبه هو أن تسلم له طبيعتك تسليما كلياً، وأن يرتفع الصوت للشهادة ليسوع، وعندئذ يتمم الروح القدس الباقى.

العظة التاسعة

راحة للقلب

أغفلت فى عظاتى مواضيع كثيرة مثل التبرير، والتبنى، ومجئ المسيح الثانى، وغيرها من المواضيع الجوهرية التى أتمسك بها بشدة، لكننى فكرت فى أن أحصر حديثى عن الحياة الداخلية.

ولست أريد أن أنهى هذه السلسة من العظات دون التحدث عن راحة الله. وإذا ما استطعت أن أكون كيشوع لكى آخذكم إلى الراحة لكانت هذه خير خاتمة لخدمتى، لأن تاج التعليم عن الحياة الداخلية هو راحة القلب الكاملة.

إن الصوت الذى رن فى عدن تحدث عن الراحة. ففى (تك ٢ : ٣) يحدثنا الوحى عن راحة الله. ولم يعقب ذلك اليوم الذى فيه إستراح الله ليل، لأن راحة الله ليست لها نهاية. لقد ترك الله الباب مفتوحا، إنه مفتوح على مصراعيه. ويستطيع كل قلب خلقه الله أن يشترك فى هذه الراحة.

وهذه الراحة مليئة بالعمل. فالله يعمل نهاراً وليلا، لكن قلبه فى راحة كاملة، بل تفيض منه ينابيع الراحة. هذه الراحة ممكنة لنا أجمعين إذا تعلمنا كيف، ونحن وسط متاعب الحياة وأحزانها وتجاربها وضغط العمل كل يوم، نحمل دواماً قلباً هادئاً ممتلئاً بالسلام، بحيث يكون كعمق المحيط الذى لا يتأثر قط بالعواصف التى يضطرب أمامها وجهه.

وراحة الله هذه التى تحدث عنها سفر التكوين لم يلاشها السبت، ولم تقض عليها أرض كنعان، لأنه بعد أن لبث كل من السبت وأرض كنعان أجيالا طويلة ظل الله يتحدث عن الراحة على أساس أنها لازالت مقدمة للجميع. وأخيراً وقف الرب يسوع المسيح فى وسط جماعة من الفلاحين وصيادى السمك وغيرهم وقال الكلمات المدونة فى (مت ١١ : ٢٨ و٢٩).

"تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى. لأنى وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم".

"فى صدرى راحة لكل قلب متعب. صدرى متسع للجميع، وقلبى عميق للجميع. إننى أهب راحة لكل المتعبين فى كل المسكونة وفى كل جيل".

إن ذلك الصوت الذى قال "لأنى وديع ومتواضع القلب" صوت إلهى.

هو وحده له الامتياز أن يهب راحة لجميع المتعبين والثقيلى الأحمال. كيف يمكن أن يتفق هذا التواضع العظيم جداً مع هذا الامتياز العظيم إلا إذا كان هذا هو ابن الله المتجسد؟

لاحظوا أنه إذ وقف على منحدر أحد الجبال وأمامه كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم الواقعة كلها على بحيرة الجليل المقفلة، تحدث عن نوعين من الراحة: الراحة التى يهبها، والراحة الأعمق التى يبين لنا كيف نجدها. الراحة الأولى هى التى قال عنها "وأنا أريحكم". والثانية هى التى قال عنها بصوت أرق "احملوا نيرى عليكم فتجدوا راحة".

سوف لا يكون حديثى الآن عن الراحة التى يهبها، أى الراحة من إثم الخطية، ومن قصاصها، ومن الضمير الثائر بسبب الخطية، ومن خوف غضب الله. هذه الراحة قد أعطاها لكم أيها الأحباء يوم قبلتم المسيح وتبررتم، وإذ تبررتم بالإيمان صار لكم سلام مع الله بربنا يسوع المسيح.

سوف لا أتحدث الآن عن هذه الراحة، بل عن راحة أعمق، لأننى أعرف أن هنالك ربوات من المسيحيين حصلوا على النوع الأول من الراحة دون النوع الثانى. إنهم يستطيعون أن يواجهوا الموت بدون أى فزع أو رعب، لكنهم لا يستطيعون أن يواجهوا المتاعب أو النكبات أو الحرمان أو التجارب بدون فزع.

"فتجدوا راحة". لكن يجب أن تبحثوا عنها. وأريد بنعمة الله أن أبين لكم أين تجدونها، وكيف تجدونها. وذلك بثلاث طرق، لكنها كلها واحدة، لأنها تلتقى فى واحدة:

(١)

أولا: يجب أن تقلبوا نيره.

قد يبدو أمراً سخيفاً أن المتعبين والثقيلى الأحمال يجدون راحة بحمل نير جديد مهما كان خفيفاً. فالمسيح يقول "نيرى هين وحملى خفيف". لكن مهما كان النير هيناً والحمل خفيفاً فان وضعهما على المتعبين والثقيلى الأحمال لا يهبهم راحة. فكيف يكون الأمر إذاً؟ آه، انتبه جيداً، أنه ليس نيراً يفرضه المسيح، بل هو النير الذى حمله هو نفسه. هو نير تتطلب طبيعته شخصيتين لحمله. إذاً فهو يقول لك أيها المتعب إذ يقف تحت هذا النير.

تعال هنا واشترك معى فى حمل نيرى فنجر المحراث معاً لحرث حقل الحياة.

كان لأحد أصدقائى ثوران أبيضان جميلان. وقد قال لى مرة إنه عندما كان يضع النير على عنق أحدهما كان الثانى يأتى متخطراً ـ ولو كان فى نهاية الحقل ـ ويقف بجوار زميله إلى أن يوضع طرف النير الآخر على عنقه هو أيضاً. إن يسوع يقف اليوم، يحمل النير على كتفه، ويدعو كل واحد قائلا:

"تعال واشترك معى فى حمل نيرى، ودعنا نحرث معاً حقل حياتك. سأكون زميلا رقيقاً لك. سيكون النير على كتفى وكل ما عليك أن تسير بجانبى، فتجد راحة لنفسك.

وما هو نيره؟

إن نيره هو أن نخضع لإرادته، بل أن نسر بها. "أن أفعل مشيئتك يا إلهى سرت" (مز ٤٠ : ٨). يجب أن نحيا حياة الاعتماد الكلى على الله كما كان إيليا ويوحنا المعمدان وغيرهما.

حالما يحيا المرء هكذا فانه يتبين قصد الله، وينال قوة من الله وحينما يعلن الله قصده لأى إنسان فانه يهبه كل ما يلزم لإتمامه، هكذا عندما رأى موسى مثال وشكل خيمة الاجتماع، بكل تفاصيلها الدقيقة من الجواهر الكريمة والذهب والفضة والخشب والنقش والحياكة، أدرك أنه سوف يرى بين شعبه مثالا لكل ما سبق أن رأى.

إذا ما حل بنا أى ضيق فلنرفع صوت الحمد قائلين "نعم أيها الآب، لأنه هكذا صارت المسرة أمامك". لتكن إجابتنا لكل ما يحدث لنا فى الحياة "نعم أيها الآب"، نعم، نعم، دون أى اعتراض، أو تذمر.

ذهب مرة زائر ليفتقد معهداً للصم والبكم فى مدينة لندن. وقبل مغادرة المعهد التف حوله الأولاد والبنات فكتب على السبورة:

لماذا خلقكم الله صماً وبكماً، بينما خلقنى قادراً على الكلام والسمع؟

فتنهد الجميع، ثم تقدم ولد صغير وكتب على السبورة:

"نعم أيها الآب، لأنه هكذا صارت المسرة أمامك".

هذا الولد قال لله "نعم".

قد يقول قائل: أنا لا أبالى إن كان الأمر يتصل بعلاقتى مع الله إن حلت بى كارثة. أو خسارة أو أى شئ أستطيع أن أسلمه لله، فاعتقد بأننى أستطيع أن أخضع له. لكن الذى يزعجنى جداً هو أن تأتينى المتاعب من زملائى البشر. لا أستطيع أن أقول لهؤلاء "نعم".

آه ياصديقى، يجب أن تقول. مالم تفعل هذا فلن تجد راحة لقد جربت هذا فى حياتى ووصلت إلى هذه النتيجة وهى أننى يجب أن لا أفرّق بين ما يرتبه الله وبين ما يسمح به.

إن ما يسمح به وما يرتبه يحملان إرادته.

هذا ما رآه ايوب، لأنه بالرغم من أن الشيطان هو الذى أضاع ثروته ونكد عليه حياته، فقد قال "الرب أخذ".

وهذا ما رآه يوسف، لأنه قال "ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله".

وهذا ما رآه داود، لأنه قال "دعوا شمعي يسب لأن الرب قال له سب داود" (٢صم ١٦ : ١٠).

وهذا ما آه يسوع نفسه، لأن عندما أتى يهوذا الاسخريوطي إلى بستان جثسيماني لإلقاء القبض عليه قال "الكأس التي أعطاني الآب لأشربها ألا أشربها". مع أن يهوذا هو الذي وضعها على فمه إلا أنه رأى أن الآب هو الذي مزجها.

نحن محاطون بنعمة الله. قد يصوب لي العدو سهماً. قد يرسل إليّ شخص يبغضني خطاياً بدون توقيع قد يغدر بي شخص ما. قد تلفق لي امرأة تهمة، فيصل إليّ الشر. لو أراد الله لجعل السهم ينحرف إلى هذه الناحية أو تلك. لكن إن سمح الله بأن يصل الشر إلى قلبي مخترقاً نعمته المحيطة بي، فينبغي أن أدرك بأن هذه هي إرادته لي. لست أقول إن الذي صنع بي الشر ينجو من القصاص. فان الله لابد أن يعطيه قصاصه العادل. ولا داعي لكي أزعج نفسي بالتفكير فيه. في بداية الحياة الزوجية قد أبذل أقص جهدي لكي أتفادى الشر الذي أراده لي الناس أو لكي أنتقم منهم، أو لكي أبين أن هذا الشر لم يكن له أي مبرر. إنك إن أسكت رجلا قام عشرون.

إذاً فمن الخير، لسلام القلب، أن تقبل إرادة الله، أن تقبل ما يسمح به وما يرتبه، أن تتطلع إلى وجهه وتقول:

"نعم أيها الآب"

لعل سيدة تقول لي. قبل أن تكمل حديثك أطلب منك الإجابة على هذا السؤال. منذ شهور كان لي ولد جميل جداً، لعله أجمل من ولدته

امرأة. كنت ادلله كثيراً أنا وزوجي. فمرض، وتعلقت نفوسنا به جداً، وصلينا من أجله. وعملنا معه كل ما يمكن أن يعمل. لكنه مات. ولا أستطيع أن أقول بأنني أشعر بالاستسلام منذ ذلك الوقت. فهل أنا شريرة جداً؟

ـ ماذا تقصدين بعدم الشعور بالاستسلام؟

ـ عندما أكون وحيدة أبكي كثيراً.

ـ ياعزيزتي، لا غضاضة في هذا، فان يسوع بكى. وهو أعطاك القدرة على البكاء. والدموع تخفف عن النفس المجهدة. فابكي إلى أن يكفف الله كل دمعة.

ـ لا أقصد هذا. إنني اشعر كأنني لا أقدر أن أسامح الله عما فعل بي. لا أشعر بأنني أقدر أن أقول "نعم".

ـ ذلك لأنك لم تتصرفي التصرف اللائق. الله يطلب منك أن تريدي الخضوع والاستسلام، وبعد ذلك يأتي الشعور. إنك لا يمكنك أن تبدأي بالشعور بالاستسلام، لكن يمكنك أن تريدي الإستسلام. قولي له: إنني أريد إرادتك.

ـ لكنني لا أشعر بالقدرة على ذلك

ـ فليكن. ردّدي هذه العبارة مائة مرة في اليوم: إنني أريد إرادتك. وفي ظرف مدة قصيرة سوف تغيرين هذه العبارة وتقولين بدلا عنها: إنني اختار إرادتك، وإذ ترددين هذه كثيراً كل يوم سوف تغيرينها وتقولين بدلاً عنها: أسر بارادتك.

نحن نبدأ بأن نريد، ثم نختار، ونختم بأن نسر. وهذا هو سر الراحة

هل تقبل نير الله اليوم؟ إن ارادة الله تأتينا اولا بروحه القدوس، ثم بكلمته. ثم بالظروف. وأعتقد أنها تأتى بالظروف التى نجرب بها. هنالك نقابل الله. وكما أنه ينبغى أن يتقارب الطرفان فى الكهرباء لكى يشع النور من بينهما هكذا ينبغى أن يتقارب طرف إرادتك مع طرف إرادة الله، وعندئذ ينير نور الاستسلام والسلام.

أنتم بطبيعة الحال تعرفون ما هو مسمار القدم (أو عين السمكة أو الكالو). فى بداية الأمر يحتك الحذاء بالقدم، وعندئذ تبعث الطبيعة واقياً من الجلد السميك، وهو ما نسميه بمسمار القدم. أما اللحم الرقيق فانه تحته. كانت هنالك فى حياتى بعض أشياء أزعجتنى، وبدا لى كأننى قد وضعت فوقها ما يشبه مسمار القدم، فاحتملتها لكننى فيما بعد تعلمت أن هذه ليست هى الطريقة المثلى. فقد كنت أهرب من إرادة الله كلما سنحت لى الفرصة، وكنت أتجنبها. لكننى تعلمت أخيراً طريقة أفضل ـ تعلمت أن أسمح لإرادة الله بأن تعمل فى قلبى، لا أهرب منها، ولا أختبئ منها، بل أتقبلها. اقبل نيره

هنالك أشخاص يحملون النير لأنهم ليس لهم مفرّ منه، وهنالك أشخاص يقبلونه راضين. فهل قبلته؟ إقبل الآن بإرادتك. إن كنت قد خسرت ثروتك، فلا فائدة من الالتجاء إلى المجتمع. التقيت بفتيات كثيرات فشلن مع من أحببنهم، فالتجأن إلى المجتمع وتبلدت ضمائرهن، وبهذا هربن من أنفسهن، بل هربن من الله. وسوف يجدن أخيراً أنه لا فائدة من هذا كله، ويتعلمن أن يتطلعن إلى وجه المصلوب قائلات:

"يايسوع، إننى أقبل النير"،

أنت تعلم بأنك عندما تقود مهراً (حصاناً صغيراً) فانه إذا جمح ورفس إنما يعرض نفسه للضرب بالسياط، وأخيراً لابد أن يسير فى الطريق الذى تريده. كان خيراً له أن يسير مستقيما بدلا من أن يجمح ويرفس.

قد يكون هذا هو الحال معك، لعلك - كفرس صغير - تجمح وترفس وتسبب لنفسك متاعب كثيرة.

إنك لن تجد راحة أن استمريت فى السير فى عناد قلبك. إرجع، واقبل بهدوء ما يسمح لك الله به، واعلم بأن فى هذا سر راحتك، وأن هدوءاً جديداً سوف يحل بك. إن سكبت أنهاراً من الدموع فقل "إننى أقبل إرادة الله".

"ادهن رأسك واغسل وجهك". إننى أحب كثيراً هذه الآية. كثيراً ما صرخنا وندبنا سوء حظنا عندما تحل بنا الضيقات وبذلك نعطى الناس فكرة بأن الله قاس. فيأتى كل واحد يعزينا. وصحيح أنه مما يعزينا أن نرى الناس يلتفون حولنا ليعزونا. وإنك لتشعر بأنك إنسان يستحق الذكر إن استطعت أن تحرك عواطف الآخرين، وبهذا أنت تنال أجرك. أما إن كنت تدهن رأسك، وتغسل وجهك، وتبتسم، وتخفى آلامك فى قلبك، فان الله الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية. وبعد ذلك سوف ترى بأن ما كنت تحسبه ضرورياً جداً لحياتك إنما هو بضعة أوراق شجر ذابلة. إننى أشكر الله من أجل متاعبى الماضية لأننى أراها الآن بأنها قد قد رتبت من الله.

(٢)

هنالك طريقتان أخريان بهما تجد راحة لنفسك. الأولى بالإيمان. "لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة" (عب ٤ : ٣).

والفكرة هنا هي أن الإيمان له يدان، اليد الأولى يمدها دواماً إلى فوق، والثانية يمدها دواماً إلى أسفل. قد صعدت الملائكة على سلم يعقوب حاملة متاعبه، ونزلت عليه حاملة بركات الله. فاذكر أن لك هذين الاتجاهين في حياتك. فدع الملائكة يصعدون إلى فوق، ودعهم ينزلون إلى أسفل.

عندما تحل بك الضيقات، هل تعرف كيف تجثو على ركبتيك قائلا لله "أيها الآب السماوى. خذ هذه"، وهكذا تسلمها إليه، وتتركها لديه؟ سمعت أن سيدة اعتادت أن تجثو في غرفة نومها وتستودع الله كل همومها، ثم تذهب إلى فراشها بنفس الهموم. أما الطريقة المثلى فهي أن تثق في الله ثقة كاملة، ثم تلقي عليه كل همومك، ولا تعود بعد تزعج نفسك أو تزعج الله.

إن كان هنالك شئ يضايقني أكثر من غيره فهو أن يأتيني صديق ويطلب مني أن أعمل عملا ما، فأرحب بهذا الطلب. وبعد ذلك يرسل إليّ خطابات كثيرة طالباً مني نفس الطلب وعندئذ أتضايق جداً لأنه لا يثق بي.

هكذا عندما أسلم همومي لله وأتركها لديه، ينبغي أن لا أنزعج خوفاً من أن يكون قد تخلى عني. فان هذا ينم عن عدم ثقتي به. بل ينبغي أن أتطلع اليه قائلا "أيها الآب السماوى، إنني أثق بك ثقة مطلقة".

كان كلبي يزعجني جداً وقت الغذاء طالباً طعامه. لكنه لم يكن يظفر به

هذه الطريقة. لكنه أخيراً اتبع طريقة تغلبني دواماً. فانه يجلس تحت المائدة في هدوء، ويضع يده فوق ركبتي. لا ينبح، ولا يقفز هنا أو هنالك، ولا يزعجني، بل يجلس تحت المائدة واضعاً يده على ركبتي، وبهذا يغلبني، لأنني لا يمكنني أن أرفض هذا الطلب. بل أقدم له لقمة بعد لقمة

أيها الحبيب، أتعرف ماذا أقصد؟ تقدم في اتضاع وهدوء إلى الله وقل "يا إلهي، سوف لا أنزعج ولا أضطرب، وسوف أنتظر حتى يأتي الوقت الذي فيه تعطيني سؤل قلبي".

إذاً، فاقبل نيره، وثق فيه

(٣)

وأخيراً اعتمد على أمانة الله.

اذكر أن هدسن تيلور اتى إلى كنيستي مرة، وكانت هذه أول مرة أراه. وإذ اعتلى المنبر فتح الكتاب المقدس وقال "أيها الأحباء سوف أقدم لكم شعار حياتي" ثم قرأ من (مر ١١ : ٢٢) "ليكن لكم إيمان بالله" (١). أما الواعظ فقال إن المعنى هو "اعتمدوا على إيمان الله لكم". ثم أضاف قائلاً "لقد كانت حياتي كلها متقلبة. في بعض الأحيان كنت أستطيع أن أثق في الله، وفي بعض الأحيان كنت لاأستطيع. ولكن عندما كنت لاأستطيع أن أثق فكنت أعتمد على أن الله سيكون أميناً". هنالك آية تقول "إن كنا غير أمناء(٢) فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه" (٢تي ٢ : ١٣). في بعض

(١) "ليكن لكم إيمان الله" حسب هامش الترجمة الانكليزية، أو "اجعلوا إيمان الله فيكم" حسب الترجمة القبطية.

(٢) "إن لم نؤمن" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية.

الأحيان اذهب إلى الله وأقول له "ياإلهى، ليس لى إيمان بأنك تخلصنى من هذه الظروف، لكننى أعتمد على أمانتك". وعندما تكف عن التفكير فى إيمانك، وتعتقد مثل سارة بأنه أمين، يأتى إيمانك دون أن تدرى، وتصبح قوياً.

والآن أقدم لكم الآية الأخيرة "أمين هو الله الذى به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا" (١كو ١ : ٩).

شركة وردت هذه الكلمة بنصها اليونانى فى (لو ٥). عندما كان يسوع فى سفينة بطرس فى البحيرة، وبدأت الشبكة تتخرق بسبب كثرة السمك أشار بطرس إلى شركائه. وهكذا نستطيع أن نقرأ الآية على هذا الوجه "أمين هو الله الذى به دعيتم إلى شركة مع ابنه". عجيبة هذه الفكرة أن يسوع المسيح أتى لكى يشترك معى فى آلامى وأحزانى لكى أرتفع أن إلى شركة معه إلى الأبد.

إذا أراد رجل أعمال فى نيويورك أن يرسل ابنه إلى مدينة لندن لعمل تجارى فيها فانه يستدعى موظفا متقدم السن أمينا لكى يكون فى رفقة ابنه، ويرسلهما معاً. هب أن الموظف المحنك اختار موقعاً غالياً جداً، وتعهد بأن يدفع له إيجاراً مرتفعاً جداً، وبدأ عملا تجاريا كبيراً، وأتى اليه شخص قائلا:

ـ لقد شططت.

ـ نعم، ولقد أرسلت لأفعل هذا.

ـ هل لديك أموال وفيرة؟

ـ لا

ـ هل لديك أموال تغطي بها ظهرك ؟

ـ لا

ـ إذن فكيف تتجاسر بأن تبدأ هذا العمل التجارى الضخم؟

ـ لأن رئيسى أرسلنى لتأسيس هذا المحل. لقد أخبرنى بأن أكون جريئاً جداً، وأنه مستعد ليرسل إلى من نيويورك كل مايحتاجه العمل. لقد عملت معه ثلاثين سنة، ولم يخيب رجائى فيه إلى الآن، ولم يتخل عنى قط. إنه أمين، وأنا واثق أنه سيحمى ظهرى إلى النهاية.

أيها الأحباء، لقد دعيتم، كما دعيت أنا، وكما دعى كل مسيحى، للراحة والعمل فى المسيح. إن إلهكم الأمين خلقكم، وهو لايمكن أن يتخلى عنكم. إن قبلتم نير المسيح، إن سلمتم كل شئ للمسيح، إن آمنتم بأن الله وراء ظهركم، إن كنتم لاتبالون بما يحصل، فان قلبكم يمتلئ راحة. وكما أن القواقع التى تؤخذ من المحيطات تردد النغمة التى سمعتها فى أعماق المحيطات، هكذا يردد قلبك النغمة الموسيقية الحلوة التى سمعها من أعماق قلب الله التى منها خرجت

للمعرب أيضاً

حياة يوسف	دكتور ف. ب. ماير
حياة إبراهيم	دكتور ف. ب. ماير
حياة إيليا	دكتور ف. ب. ماير
حياة أرميا	دكتور ف. ب. ماير
حياة يشوع	دكتور ف. ب. ماير
حياة داود	دكتور ف. ب. ماير
حياة يعقوب	دكتور ف. ب. ماير
حياة زكريا (نبى الرجاء)	دكتور ف. ب. ماير
حياة بطرس	دكتور ف. ب. ماير
حياة بولس	دكتور ف. ب. ماير
حياة يوحنا المعمدان	دكتور ف. ب. ماير
المسيح فى إشعياء	دكتور ف. ب. ماير
مزمور الراعى	دكتور ف. ب. ماير
أسرار الحياة المسيحية	دكتور ف. ب. ماير
مخلصون ومحفوظون	دكتور ف. ب. ماير
أضواء على الحياة اليومية	دكتور ف. ب. ماير
سر الحياة الداخلية	دكتور ف. ب. ماير

الحياة المباركة	دكتور ف. ب. ماير
الرب قريب	دكتور ف. ب. ماير
تفسير رسالة فيلبى	دكتور ف. ب. ماير
تفسير إنجيل متى	متى هنرى (أربع أجزاء)
تفسير إنجيل مرقس	متى هنرى (جزءان)
تفسير رسالة رومية	متى هنرى (جزءان)
تفسى سفر الجامعة	متى هنرى
تفسير سفر نشيد الأنشاد	متى هنرى
تفسير سفر هوشع	متى هنرى
تفسير سفر نحميا	متى هنرى
تجسد الكلمة	أثناسيوس الرسول
رسالة إلى الوثنيين	أثناسيوس الرسول
رسائل عن الروح القدس	أثناسيوس الرسول
حياة أنبا أنطونيوس	أثناسيوس الرسول
مخدع الصلاة	أندرو مرى
تايخ الكنيسة	يوسابيوس القيصرى
حياة قسطنطين	يوسابيوس القيصرى
تفسير المزامير	أوغسطينوس

الصلاة الربانية

القراءات اليومية فى الأسفار الإلهية مجلد ١و٢و٣و٤

المسيح فى حياة الطالب

العمل الفردى

أمثلة المسيح

خيمة الإجتماع

الكهنوت

الذبائح

حياة المسيح حسب إنجيل مرقس

الدسقولية

الاستعداد لتناول من الأسرار المقدسة

تفسير قداس الكنيسة القبطية

حياة الخادم

كيف تدرس الكتاب المقدس

أسرار الكنيسة السبعة (باللغة الانكليزية)

قداسات الكنيسة الأثيوبية (باللغة الأنكليزية واللغة العربية)

شهادة علم الآثار للكتاب المقدس

فهـرس

صفحة

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٦١٨ , ٢٠٠٢


الثمن :
مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
تليفـون : ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)